كتب الدساتير في عصر المماليك

د. أشرف محمد أنس

كتب الدساتير فى عصر المماليك



دار الكتب المصرية

فهرسة اثناء النشر إعداد إدراة الشئون الفنية

آنس ، أشرف محمد

كتب الدساتير فى عصر المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ١٢٥٠ - ١٥١٧/

أشرف محمد آنس

ط١ القاهرة : مكتبة الآداب ٢٠١٢

تدمك ١ ٤٢٠ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١-مصر - تاريخ عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م)

أ- العنوان

٩٥٣.٠٨٢

رقم الايداع ٤٧٦١/ ٢٠١٢

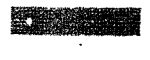
د/ أشرف محمد أنس

كتب الدساتير في عصر المماليك

٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م



كتب الدساتير في عصر المماليك



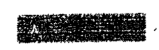
مقدمة



كتب الدساتير في عصر المماليك

كتب الدساتير في عصر المماليك

مثلت كتب الدساتير فى عصر المماليك نوعاً مهماً من أنواع المصادر التى يعتمد عليها الباحثون فى التأريخ لتلك الفترة، سواء على النطاق التاريخى أو الأدبي، وقد تمثلت هذه الأهمية فى تتبع التطور الإدارى لوظائف الدولة، وتتبع التطور الحادث فى هذه الوظائف علواً وهبوطاً، وذلك من خلال الألقاب المستحقة لكل وظيفة، وأيضاً العلاقات الدبلوماسية بين مصر فى عصر المماليك وغيرها من دول العالم في ذلك الوقت .



وعلى الرغم مما تمثله هذه المصادر من أهمية تاريخية كبيرة، إلا أنها خضعت لمعيار كونها كتبا ذات قيمة ضعيفة تاريخياً، اللهم إلا كتاب القلقشندى " صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ". لما حواه هذا الكتاب من ذخائر معرفية تعدت الدور المرسوم لهذا الكتاب. وهو أن يكون كتاباً فى صناعة الإنشاء. وبجانب ذلك، فإن هذه النوعية من الكتب، ظل التعريف بها قاصراً على أنها نوع من المؤلفات الأدبية. التي تساعد في تفسير بعض الحوادث التاريخية، ولا توجد لها استقلالية الغرض فى التأليف فيها، أو أنها تعبر عن فن جديد ظهر، وأخذ يستكمل أغراض بنائه، حتى اكتمل فى عصر المماليك.

كل ذلك استدعى المحاولة للتأصيل لهذه الكتب، والتأريخ لظهورها، ومدى ما أسهمت به فى الدراسات التاريخية، ومحاولة النظر إليها نظرة موضوعية، تتسم بالإنصاف، وتغيير الرأي القائل بأن هذه النوعية من الكتب كانت متشابهة في أغراضها ومناهجها، سواء على مستوى التنظيم، أو المصادر التي استقت منها معلوماتها.

وعلى ذلك فإنني أقدم للمكتبة العربية كتاب " كتب الدساتير في عصر المماليك " وهو في الأصل جزء من أطروحة الدكتوراه، وكان يمثل الدراسة السابقة على تحقيق كتاب " الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم " لشمس الدين محمد بن محمد السحماوي الشافعي

المتوفى عام ٨٦٨هـ ، ولكن حالت الظروف التنظيمية لنشر المخطوط بمركز تحقيق التراث عام ٢٠٠٩م، إلى نشر المخطوط دون الدراسة . واحتوت تلك الدراسة على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ماهية كتب الدساتير . وتناول هذا الفصل التعريف بكتب الدساتير لغويا، ودلالة هذا اللفظ خاصة فى عصر المماليك ، بالإضافة إلى تحديد هوية هذه الكتب، وهل هى بالفعل كتب أدبية بلاغية، سارت على درب الكتب الأدبية فى العصور السابقة، أم كانت لها شخصيتها المستقلة التى نبعت من مقتضيات العصر الذى تبلورت واكتملت شخصيتها فيه. ولأجل ذلك كان هذا الفصل يحاول تتبع المراحل التاريخية لإرهاصات هذه الكتب، منذ بداية العصر الإسلامي، من خلال ثلاث محاور، الأول التطور الإدارى لديوان الإنشاء، الثاني الدور السياسي الذي لعبه متولي هذا الديوان ، الثالث المناخ الثقافى الذى ألفت فيه هذه الكتب، وإرهاصاتها الأولى . ثم تحديد ماهية الكتب غرض الدراسة، والتفريق بينها وبين ما سبقها، أو كانت معاصرة لها، في مناقشتها لبعض الأغراض التي عالجتها، وإن كانت بعيدة عن كونها كتبا لدساتير الألقاب والكتابة الدبلوماسية فى عصر المماليك .

الفصل الثانى : مؤلفو الدساتير وكتبهم . وهذا الفصل عني بتراجم مؤلفي كتب الدساتير وكتبهم التى ألفوها فى هذا الغرض، سواء



ما كان معروفاً أو مجهولاً لدينا، مثل محاولة التعريف ببعض الكتب التى ما زالت فى أصلها المخطوط، مثل كتاب عرف التعريف للشهاب العمرى، أو محاولة تبيان بعض الحقائق حول بعض المؤلفات المنسوبة خطأ لبعض المؤلفين الآخرين . وفيه أيضاً ترجمة وتأصيل لصاحب المخطوط . المزمع تحقيقه فى القسم الثانى من هذا البحث . المعروف باسم المقصد الرفيع المنشا للخالدى والإجابة عن ما يثار حول أى عمل خاضع للتحقيق من كونه هل هو مؤلف المخطوط؟ وهل هذا المخطوط معروف بهذا الاسم لدى العاملين بحقل الكتابة التاريخية ؟ بالإضافة إلى عرض مناهج الكتابة المتبعة لكل كاتب ومصادره التى اعتمد عليها فى تأليفه لكتابه .

الفصل الثالث : السحماوى وكُتّاب الدساتير . وهذا الفصل دراسة تحليلية مقارنة بين مؤلف وصاحب كتاب "الثغر الباسم" المعروف والمنسوب خطأ باسم المقصد الرفيع المنشا للخالدي، وبين كُتّاب الدساتير فى عصر المماليك مثل العمري، وابن ناظر الجيش ، والقلقشندي . وهذه المقارنة قائمة على تبيين أوجه الاتفاق والاختلاف بين هؤلاء الكتاب، وما تميز به كل منهم سواء فى منهج كتابته، أو ما أضافه من معلومات فاق بها غيره من كُتّاب الدساتير .

وفي نهاية هذه المقدمة أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا العمل.

أشرف محمد أنس

الفصل الأول

ماهية كتب الدساتير



بعد أن استقر ديوان الإنشاء في وظائفه ومهامه خلال عصر المماليك، قامت مجموعة من العاملين به بتصنيف عدة مؤلفات خاصة بديوان الإنشاء ومهامه وطرق الكتابة به، واصطلح هؤلاء الكتاب على إطلاق لقب " دستور " على تلك المصنفات، وقد أصبح هذا الاسم علماً على هذه النوعية من الكتب، بحيث إذا ذُكرت كانت تعنى هذه النوعية من المؤلفات الخاصة بديوان الإنشاء.

ولكن على الرغم من أن هذه النوعية من الكتب كانت ذات طابع مهني هو " صناعة الكتابة "، إلا أن أهميتها تعدت ذلك إلى أبعد، إلى كونها كتباً تاريخية حضارية ذات تأثير مباشر على التأريخ لتلك الفترة بوجه خاص. ولمعرفة كيفية حدوث ذلك التحول من كونها كتبا ذات بُعد أدبي بلاغى، إلى مؤلفات ذات بُعد أدبي تاريخى حضارى، يجب تتبع ميلاد هذه المصنفات وتطورها النوعى والمنهجى خلال العصر الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك.

معنى كلمة دستور

إن كلمة الدستور وجمعها دساتير، فارسية الأصل تعني " القانون أو النظام "[1]، وقد عدد الزبيدى [2] عدة استعمالات لهذه الكلمة، فقد ذكر أن الصغاني عرفه بأنه اسم النسخة المعمولة للجماعات. كالدفاتر التي منها تحريرها. وقد ذكر أن الكُتّاب اصطلحوا على إطلاقها على الذي يدير أمر الملك.

---

(١) حسن الباشا. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار. القاهرة ١٩٧٨. ص٢٨٨.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الكريم عزباوي. الكويت ١٩٧٢. جـ١١. ص٢٩٢.

ولكـن علـى جانـب آخـر نجـد أن هنـاك العديـد مـن المعـاني المستخدمة لهذا الاسم . وإن لم تخرج عن المعنى العام وهو القانون أو النظام . منها " الإذن "[1]، الذي كان اصطلاحاً مشهوراً في كتب ومصادر تاريخ المماليك، ولذلك نجد دوزى [2] قد أشار في شرحه لهذا اللفظ إلى أنه يعنى الثلاث كلمات جميعها.

وإذا ما نُظر إلى استخدام هذا المعنى في مصادر تاريخ المماليك، سنجد أن غالب استخدامه بمعنـى " الإذن "، كما نجده عند بيبرس الدوادار [3] " فطالعت للسلطان بذلك وسألته أن أصير إلى هنالك في ثواب الغزو [4] وأشارك. فأذن لى بالحضور وسمح بالدستور فكنت كمن فاز أمله بنجاحه ".

(١) الزبيدى: السابق، ص٢٩٣.

(٢) **Dozy; Supplément aux dictionnaires arabes, paris,1966. , T. 1, p.442**

(٣) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مخطوط بجامعة القاهرة تحت رقم٢٤٠٢٨. ورقة ٢٨٣.

(٤) أى في غزو عكا مع الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٩٠هـ / ١٢٩٠م.

أو ما ذكره النويري [١] عن الملك المؤيد حين ولاه الناصر محمد حماة فقال " ثم أعطى الدستور الشريف فتوجه من يومه على خيل البريد محبوراً مجبوراً ".

إذن كان الغالب على هذا الاسم واستعماله في عصر المماليك، كونه يعبر عن الإذن. ولكن لماذا أُطلق على هذه النوعية من الكتب الخاصة بديوان الإنشاء؟

في البداية يجب التأكيد على أن ثقافة العصر _ عصر المماليك _ كانت ذات روافد لغوية أخرى غير العربية، وهي الفارسية والتركية، فدخلت بعض الكلمات على اللغة العربية، بل أصبحت بلفظها معربة [٢] معنى واصطلاحاً، ولذلك استعمل كتاب الإنشاء هذا الاسم بمعناه الفارسي ودلالته العربية " القانون " على هذه النوعية من المصنفات، بل إن استعماله تعدى ذلك أيضاً لإطلاقهم اسم الدستور على جميع ما يخرج من أوراق ومكاتبات من ديوان الإنشاء. إلا أن المعنى الخاص لكلمة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتب، القاهرة، ج٢٣. ص٣١٨.

(٢) الزبيدى: السابق. ج١١، ص٢٩٢.

الدستور، عند كتاب الإنشاء كان يعنى الكتب المصنفة لكى تكون قوانين لصناعة الكتابة ورتب المصطلح بديوان الإنشاء.

والدليل على ترسخ هذه الفكرة لدى مصنفى هذه الكتب، ما نصت عليه مقدمات كتبهم. فالعمرى في مقدمة " عرف التعريف " [1] يقول " فقد أمر من أمره طاعة، وحقه لا يؤدى بعمل ما يجب، ولكن على قدر الاستطاعة، أن أعلق دستوراً في رتب المكاتبات من أعلاها إلي أدناها".

وفى مقدمة " التعريف " يقول نثراً وشعراً " وكان على الألسنة أنى لم أطلع هذه الشعوب، وعدى وهو جزع شأو القارح اليعبوب، فذكرت بالدستور[2] الذي كنت عملته في عنفوان الصبا بالأبواب السلطانية بديوان الإنشاء [3]:

يا طالب الإنشاء خذ   علمه فعلمى غير منكور

---

(١) العمري: عرف التعريف. مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس. تحت رقم ٩٢٦ Arabe. ورقه ٩٥ أ.

(٢) أى عرف التعريف.

(٣) التعريف بالمصطلح الشريف. تحقيق محمد حسين شمس الدين. بيروت ١٩٨٨. ص١٣.

ولا تقف في باب غيرى   فما تدخله إلا بدستورى"[1]

وعلى هذا المنوال نجد ابن ناظر الجيش [2] يقول: "فهذه ورقات وضعتها كالدستور لولدى أحمد كاتب الدرج".

ونجد القلقشندي يقرظ كتابه صبح الأعشى في مقدمة ملخصه ضوء الصبح [3] فيقول "اشتمل في كتابة الدول في كل زمن على ما ينقطع دونه المطامع، وأحاط من مبانى دساتير الصناعة ما لم تحط به دائرة دستور ".

ومن خلال تلك المقدمات، نستطيع أن نلمح الغرض الأساسى من هذه المؤلفات، ألا وهو أنها القوانين المنظمة لصناعة الكتابة في ديوان الإنشاء خلال عصر المماليك. وذلك بدوره يؤدى إلى التساؤل هل كانت تلك الكتب خاصة بعصر المماليك نشأة وغرضاً؟ أم كانت لها إرهاصات سبقت ذلك العصر ثم تبلورت وأخذت هذا الشكل الخاص بها؟

---

(١) العمري: السابق، ص١٤.

(٢) تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلى. المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥. ص ٣هـ٦ عن مخطوط لينجراد.

(٣) ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المسفر، نشر محمود سلامة. القاهرة ١٩٠٦،

والإجابة على هذا التساؤل تكون بأن كتب الدساتير كانت خاصة بعصر المماليك دون سواه، وأن ما سبق من مؤلفات، كانت تعالج بعض الأمور التي عالجتها كتب الدساتير لا تعدو أن تكون إرهاصات لتلك النشأة، لكنها لم تكن مساوية لها في الشكل والمضمون، ولتبيان ذلك الأمر لابد من رسم صورة لهذه النشأة وذلك التطور.

كتب الدساتير.. المنشأ والأصل

درج العديد من الكتاب والمؤرخين المحدثين [1] على إدراج كتب الدساتير التي صنفت في عصر المماليك ضمن الكتب ذات الغرض الأدبى البلاغى، واعتبارها امتداداً لها لا تختلف كثيراً عنها. وذلك الرأى به عدة أوجه من القصور إذا ما تم النظر لهذه النوعية من الكتب على أنها كتب أدبية بلاغية، ولعل ذلك يظهر من خلال ما ذكره القلقشندي في مقدمة كتابه صبح الأعشى [2] حين قال "والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف، وتباينت مواردهم في الجمع والتأليف،

---

(١) حسن الباشا: السابق، ص٣٦_٣٧.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب، القاهرة ١٩١٤ _ ١٩١٩، ج١، ص٧.

فرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها، وأخرى جنحت إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها، وطائفة اهتمت بتدوين الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها وتكون أنموذجا لمن بعدهم يسلك سبيلها من أراد أن ينسج على منوالها، ولم يكن فيها تصنيف جامع لمقاصدها ولا تأليف كافل بمصادرها الجليلة ومواردها، بل أكثر الكتب المصنفة في بابها والتآليف الدائرة بين أربابها لا يخرج عن علم البلاغة المرجوع فيها إليه".

فهذه العبارة قد لخصت مراحل تطور هذه الكتب، بحيث خرجت من نطاقها الأول "البلاغي" المحدود، إلى أن وصلت في نهاية تلك المرحلة إلى نطاقها العام، الذي يشمل قوانين العمل الإدارى وقوانين كتابة المصطلح " البروتوكول " ونظم العمل داخل الدولة، بالإضافة إلى المؤهلات الواجب توافرها فيمن يعمل بديوان الإنشاء.

ولتوضيح كيفية هذا التطور يجب أن ننظر إليه نظرة عامة، تحكمت فيه عدة عوامل لا نظرة خاصة ضيقة تنظر إلى هذا التطور من حيث الشكل لا الشكل والمضمون. والعوامل التي أثرت في هذا المضمون حتى وصل إلى ما عرفناه في هذه الكتب تتلخص في:

١ ــ تبلور ديوان الإنشاء في وظائفه وأعماله.

٢ـ التطورات السياسية والإدارية المصاحبة لعمر هذا الديوان.

٣ـ ثقافة العصر الذي صنفت فيه هذه الكتب منذ البداية.

وهذه العوامل الثلاثة ظلت مؤثرة على منهجية الكتابة والتصنيف في المؤلفات الخاصة بديوان الإنشاء، . إذا ما تم اعتبار المؤلفات السابقة على كتب الدساتير في عصر المماليك من نفس النوعية. وعلى هذا يمكن أن نقسم مراحل تطور كتب الدساتير إلى ثلاث مراحل ذات خصائص مميزة لكل منها.

المرحلة الأولى

أما هذه المرحلة التي استمرت حتى العصر الفاطمى، فيمكننا أن نجد بوضوح تأثير العوامل الثلاثة السالفة الذكر في إقبال المؤلفين على تصنيف كتب ومؤلفات ذات صلة بديوان الإنشاء. ففى البداية نجد أن ديوان الإنشاء كان على غير مسماه، إذ كان يطلق عليه ديوان الرسائل أو المكاتبات [١] . وعلى الرغم من أن هذا الديوان كان من أوائل الدواوين

(١) ابن الصيرفى: القانون في ديوان الرسائل. تحقيق أيمن فؤاد سيد. القاهرة ١٩٩٠. ص٥: القلقشندي: صبح، ج١، ص٩٠: المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. بولاق ١٨٥٧، ج٢، ص٢٢٥.

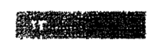
الإسلامية نشأة، سواء استحدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم(١)، أو تم استحداثه في العهد الأموى(٢)، إلا أن اختصاصات هذا الديوان لم تكن واضحة المعالم طوال هذه الفترة، كما اتضحت معالم العديد من الدواوين الأخرى كديوان الجيش والخراج وغيرها من الدواوين (٣). بل كان الديوان . إذا ما أطلقنا عليه هذه التسمية مجازاً .كان ينحصر في معظم

---

(١) القلقشندي: صبح، ج١ص٩٢؛ أحمد دراج: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، مكة ١٤٠١ هـ، ص ١٢ .عفاف صبرة: ديوان الإنشاء وتطوره في عصر الأيوبيين والمماليك. رسالة ماجستير غير مطبوعة، القاهرة ١٩٧٠، ص٢.

(٢) لقد تبنى الدكتور حسين نصار رأيا يقول إن قول القلقشندي إن الديوان نشأ في العهد النبوى ما هو إلا مبالغة منه وأن النشأة الفعلية كانت في العهد الأموى بدليل أن الكتاب السابقين على القلقشندي لم يذكروا هذا الأمر، وإن كان اتخاذ الرسول الكتاب يعد أساساً لقيام الديوان فيما بعد. انظر: حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، القاهرة ١٩٥٤، ص٤٨؛ المراسلات في العصر الأموى، بحث في مجلة عالم الفكر، أكتوبر _ ديسمبر، الكويت ١٩٨٣.ص٣٥.

(٣) لقد كانت نشأة ديوان الجيش والخراج في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وظلت مهام كل من الديوانين في الفترة التالية واضحة المعالم محددة المهام، ولقد عنى الكتاب بتصنيف المؤلفات الخاصة بديوان الخراج بشكل خاص لأهميتها في سياسة الدولة العامة. ومن كتب الخراج الهامة " كتاب الخراج " لأبى يوسف، " كتاب الخراج " ليحيى ابن أدم، " نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة " لقدامه بن جعفر.



الأحيان في شخص واحد هو كاتب الخليفة [1]، وإن كان له أعوان فكانوا بلا اختصاصات أو واجبات محددة، بل كانوا مجرد كتبة يملكون ناصية اللغة والبلاغة دون أثر سياسى أو وظيفى في وظيفتهم، بل إنهم في غالب الأحيان يضاف ديوانهم إلى إشراف وظائف أخرى كالوزارة مثلا لمساعدتهم في مهام عملهم.

ولكى نستقى حقيقة ذلك نتعرف على عمل ديوان الإنشاء أو الرسائل في ذلك العهد، فنجد أن الرسول الكريم وخلفاءه الراشدين، قد اتخذوا الكتبة من الأشخاص القريبين منهم، بحيث إذا ما غاب أحدهم كان هناك من يحل محله، . ولعل ذلك يتضح من قائمة أسماء من اتخذهم الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون [2] ـ من الكتاب الذين كانوا يكتبون بين أيديهم ما يملى عليهم، وفى عهد عمر بن الخطاب صار يطلب من الكاتب أن يحسن الرسائل من عنده، وأن يكتب الرسائل بنفسه بدون إملاء [3].

---

(١) عفاف صبرة: نفسه.

(٢) القلقشندي: صبح. ج٢. ص٩٢: السحماوي: الثغر الباسم، ورقة ١٣ ب.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد. ج٣. ص٧ـ٩.

أما في العصر الأموى، فإن ديوان الرسائل كان عبارة عن شخص واحد، هو القريب من الخليفة يكتب عنه رسائله التي يريد كتابتها، سواء للملوك أو لعماله على الأمصار، يعاونه مجموعة من الكتاب [١]. وإن كان استقلال الكتاب فيما ينشئونه لم يكن قبل عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [٢]، كما أنه ظهرت في هذه الفترة، عدة فروع لديوان الرسائل في أقاليم الدولة الإسلامية، كما ذكر الجهشيارى [٣]. وبجانب ذلك فإن اختصاصات ديوانى الخاتم والبريد التي ستضاف فيما بعد لديوان الإنشاء، كانت منفردة عن إشراف كاتب الرسائل، مما جعل أهم أعمال ديوان الرسائل هى كتابة المكاتبات الخاصة بالخليفة.

وفى العصر العباسى، نكاد نلمح اختفاء هذا الديوان وانزواءه تحت وظيفة الوزارة. إذ نرى أن الوزير في العصر العباسى كان هو كاتب الخليفة، حتى أن المؤرخين ذكروا أن الخلفاء العباسيين قد اتخذوا كتابهم

---

(١) أحمد دراج: السابق. ص٣٠.

(٢) أحمد محمد الحوفى: أدب السياسة في العصر الأموى، القاهرة ١٩٦٩، ص٥٦٢؛ حسين بيوض: الرسائل السياسية في العصر العباسى الأول، دمشق ١٩٩٦، ص٤٢.

(٣) الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة ١٩٣٨، ص٤٠.

وزراء [١]. أى أن الشخص القريب من الخليفة، تطور مقامه من مجرد الكتابة عن لسان الخليفة، إلى منفذ لأوامره كلها، بمعنى أن وظيفة الوزير كانت تطوراً طبيعياً لمنصب الكاتب، وإن اتخذت مسمى آخر[٢]، وبناء عليه أصبح هذا الوزير مع اتساع مهامه يحتاج إلى الكتابىالذين يعاونونه في المهمات الصغيرة، من كتابة وإصدار أوامر إلى العمال والولاة. ولكن على الرغم من ذلك نجد أن اختصاصات ديوان الإنشاء الإدارية والسياسية لم تكن قد نضجت بعد، بل كانت مجرد أشخاص يجيدون فن الأدب والبلاغة، يلقى إليهم الأمر فيصوغونه كما ينبغى من الناحية الأدبية باسم الخليفة [٣].

---

(١) القلقشندي: السابق، ج١، ص٩٣؛ السحماوي: السابق، ورقة ١٤ أ؛ وعن نظام الوزارة والوزراء في العصر العباسى انظر: ابن عبدوس الجهشيارى: الوزراء والكتاب؛ الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، راجعه محمد فهمى السرجانى، القاهرة ١٩٧٨؛ توفيق سلطان اليوزبكى: الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، الموصل. العراق ١٩٧٦. Sourdel D., Le vizirat Abbaside de 749 à 936 , Damas 1960.

(٢) شاكر مصطفى: دولة بنى العباس، الكويت١٩٧٣،ج١، ص٣١٠؛ توفيق اليوزبكى: الوزارة، ص٢١_٣٢.

(٣) شاكر مصطفى: نفسه.

بالإضافة إلى ذلك فإننا نلمح الصلة بين هذه الوظيفة كوظيفة إدارية، وبين ثقافة العصر التي كانت في أوجها، فنجد أن سمات هذا العصر الثقافية، كانت غنية بل هى المعين الذي ظل الأدباء والعاملون بالأدب والبلاغة ينظرون إليه كمثل يحتذى به ومقياس يقيسون به درجة تفوقهم الأدبى والبلاغى[1]. بالإضافة إلى ذلك نجد أن لفظ " الكاتب " قد أطلق على كل من يعمل بدواوين الدولة، سواء الرسائل أو الخراج أو الجيش [2]، ولذلك فقد كانوا جميعاً على درجة واحدة من التمكن اللغوى والبلاغى لحاجتهم إليه في عملهم.

ولذلك فإننا سنجد أن هذه العوامل الثلاثة، قد خلقت لنا كتباً تختص بأسلوب الكتابة على أنواعها المختلفة، لا عن العاملين بديوان الإنشاء فقط، وهم من عناهم القلقشندي بقوله "ففرقة أخذت في بيان

---

(١) من الأمور الهامة الدالة على علو مقدار الأدب والبلاغة أن الكتاب في العصور التالية نظروا بعين الاحترام إلى من سبقوهم من الكتاب المشهود لهم بالتفوق وحظوا من خلال هذا التفوق بمكانة كبيرة كعبد الحميد الكاتب، وابن العميد حتى ضرب بهم المثل فقيل: بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت. ١٩٦٩ . ١٩٧٢، ج٥، ص١٠٤.

(٢) محمد بن يحيى الصولى: أدب الكتاب، علق عليه محمد بهجة الآثرى، القاهرة ١٣٤١، ص١٧٠.

أصول الصنعة وذكر شواهدها" [١]. وعلى ذلك فإن عناوين العديد من المؤلفات التي ظهرت في تلك الفترة، قد حوت بين أسمائها لفظ " الكاتب " أو "الكُتّاب" أو "الكتابة "مثل " أدب الكاتب " لابن قتيبة، "، وأدب الكُتّاب " للصولي، وكتاب " الكُتّاب" لابن درستويه، وكتاب " الصناعتين الكتابة والشعر " لأبي هلال العسكري، وغيرها من المصنفات.

وقد ركزت هذه الكتب على تعليم فن الكتابة من الناحية الأدبية واللغوية، وتركت للكُتّاب بعد إقرار هذه الضوابط حرية الكتابة والتعبير طبقاً لقرائحهم ومواهبهم الأدبية والبلاغية. إلا إنه من الملاحظ أن هناك بعض الإرهاصات التي حملت بذور نشأة كتب الدساتير داخل هذه المؤلفات، فبعضها مثل كتاب " أدب الكُتّاب " للصولي، قد قرر أن الغرض الأساسي لكتابه هو أن يتعلم الكُتّاب منه كيفية وضع بعض المصطلحات الأدبية في مكانها لتأدية الغرض الذي من أجله يُكتب الكتاب، مع وضع بعض الشروط فيمن يتولى وظيفة الكتابة، فنجده يقول " هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكتاب درجة وأقلهم فيه منزلة، وجعلته جامعاً لكل ما يحتاج الكاتب إليه حتى لا يعول في جميعه إلا عليه " [٢].

---

(١) السابق. ج١، ص٧.

(٢) السابق. ص٢٠.

وعلى هذا المنوال نجد أبا هلال العسكرى في كتاب "الصناعتين" يقول " فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل والمكانة من الشرف والنبل، ووجدت الحاجة إليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ...... فرأيت أن أعمل كتابى هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده من غير تقصير وإخلال وإسهاب وإهدار" [١].

وعلى ذلك فإنه يتضح من سياق هذه المقدمات، أن الهدف التعليمى البلاغى، قد سبق الهدف الذي يظهر في كتب دساتير عصر المماليك، وهو الهدف التأريخى للديوان ونظم الدولة بعد أن استقرت نظم الكتابة _ وذلك ما سوف نراه بعد قليل _. بالإضافة إلى ذلك فإننا حين نطالع الموضوعات داخل هذه الكتب، نجدها موضوعات لغوية باستثناء " أدب الكتاب " للصولى الذي يتضح من خلال تصفح موضوعاته مخاطبته للكاتب من ناحيتين، الأولى المهارة الأدبية، الثانية المهارة الوظيفية. ويتجلى ذلك الأمر في تخصيصه للجزء الثانى من

---

(١) أبى هلال العسكرى: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨٦، ص٤_٥.

كتابه[١] عن المهارات التي يجب أن يجيدها الكاتب داخل العمل، من معرفة الحبر، وقط القلم، وكيفية الإنشاء، والمقابلة بالكتاب ونسخه، والتوقيع، وختم الكتاب، وكتابة العنوان، وقطع الورق، وغيرها من المهام الأساسية للكتاب عامة، وكاتب الإنشاء خاصة.

تلك كانت اللبنة الأولى لكتب الدساتير، التي كانت لبنة أدبية بلاغية، نجدها مستمرة طوال العصر الإسلامي، وإن طغى عليها في بعض الأحيان الاهتمام بالصنعة أكثر من أى شيء آخر.

المرحلة الثانية

أما المرحلة الثانية من تطور كتب الدساتير، فيمكن تحديده زمنياً بعصرى الفاطميين والأيوبيين، بحيث نلمح بقوة اتجاه الكُتّاب نحو تصنيف مؤلفات خاصة بديوان الإنشاء، سواء في تنظيمه وطريقة العمل به، أو من حيث التذكير بما يجب على الكاتب معرفته من أصول الأدب والبلاغة.

---

(١) السابق. ص٩٢_١٩٢.

ويمكن ملاحظة أن ذلك التطور الحادث في نوعية المؤلفات، ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطور الإدارى والسياسى لديوان الإنشاء في تلك الفترة التاريخية. فقد كان للتنظيمات والترتيبات الإدارية في مصر عهد الفاطميين، أثرا في إنشاء بعض الدواوين، وتنمية بعضها الآخر، بحيث تتعدى وظائفها ما سبق أن كانت عليه، ومن هذا الصنف كان ديوان الإنشاء.

وعلى الرغم من أن ديوان الإنشاء قد وجد في مصر قبل هذا التاريخ، وعلى وجه الدقة منذ استقلال أحمد بن طولون بحكم مصر، نتيجة محاولته محاكاة نظم الخلافة العباسية [١]، إلا أن التطور الذي حدث في ظل حكم الخلفاء الفاطميين بالديوان، وارتفاع شأن العاملين به، قد أثر تأثيراً مباشراً على حركة تأليف المصنفات عن الديوان وأعماله.

ففى العصر الفاطمى، ارتفع قدر الديوان عامة، ومتوليه خاصة، بحيث كان من يشغله يحتل المرتبة الرابعة أو الخامسة[٢] إذا ما تم شغل

---

(١) القلقشندي: السابق، ج١، ص٢٩؛ حسن الباشا: السابق، ص١٧.

(٢) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة ١٩٥٣ . ١٩٥٥، ص١٠٤.

وظيفة الوساطة [١]، وأصبحت مهام ديوان الإنشاء، - بجانب المراسلات والمكاتبات - مهام تنفيذية تدخل في صميم عمل الوزير، من تعيين الإقطاعات، وتوزيع الأموال [٢]، ويظهر ذلك بصورة كبيرة بعد أن ارتفعت مرتبة الوزارة في العصر الفاطمى الثانى، إلى أن أصبح من يشغلها هو الشخصية الأولى في البلاد [٣]. وعلى ذلك، أصبحت بعض مهام الوزير

---

(١) في بعض الأحيان تولى صاحب ديوان الإنشاء وظيفة الوساطة، فقد خلع على أبى الفتوح موسى بن الحسن متولى ديوان الإنشاء سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢١م بالوساطة في المحرم سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩ م. عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة ب. ت، ص١٢٨.

(٢) ابن الصيرفى: القانون في ديوان الرسائل، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٩٠ . ص٣٨.

(٣) عن وظيفة الوزارة في العصر الفاطمى وما تمتعت به من نفوذ. انظر: ابن الصيرفى:الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٩٠؛ ومن الدراسات الحديثة، محمد حمدى المناوى: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى. القاهرة ١٩٧٠.

التنفيذية، في يد صاحب ديوان الإنشاء أو المكاتبات [١]. ولعل ذلك يظهر بصورة كبيرة في أن بعض من تم إبعادهم عن وظيفة الوزارة، اختاروا أن يشغلوا وظيفة صاحب ديوان الإنشاء، كما حدث ذلك مع على بن المغربى، الذي اختار شغل وظيفة صاحب الديوان بعد أن أُبعد عن الوزارة[٢].

وبجانب ذلك فإن وصف صاحب الديوان من قِبل المؤرخين ينبئنا عن رفعة شأن الديوان وصاحبه، فابن الصيرفى قال عنه " فإنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يتحكم بها في أرواح الناس وأموالهم " [٣]. وقول ابن الطوير "

---

(١) لقد تراوحت تسمية ديوان الإنشاء في العصر الفاطمى بين " ديوان الرسائل " أو " ديوان المكاتبات "، ولعل في استخدام المؤرخين لهذين الاسمين في مؤلفاتهم مثل ابن الصيرفى ما يدعو إلى الظن بأن اسم الديوان لم يكن على حال واحدة في الصيغ الرسمية. بل إن شيوع استخدام اسم " ديوان الإنشاء " قد ظهر في ذلك الوقت عند العديد منهم. انظر: ابن الصيرفى: القانون، ص٥؛ الإشارة، ص٨٥؛ على بن خلف: مواد البيان، تحقيق حسين عبد اللطيف، ليبيا ١٩٨٢، ص٧٥_٧٦؛ ابن المأمون: أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨٣، ص٢٧، ٥٢؛ ابن ميسر: أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨١، ص ٤٥، ٥٢، ٦٠؛ القلقشندي: السابق، ج١، ص٩٦،٨٩؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق الجزء الأول جمال الدين الشيال، والثاني والثالث محمد حلمى أحمد، القاهرة ١٩٩٦،ج٣، ص١٩٤.

(٢) ابن الصيرفى: الإشارة، ص٨٥.

(٣) ابن الصيرفى: القانون، ص٧.

وكان هذا المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجلّ، وإليه تسلم المكاتبة واردة مختومة فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها، وربما بات عند الخليفة ليالى، وهذا أمر لا يصل إليه غيره" [١]. وقول القلقشندي " ولما ولى الفاطميون الديار المصرية صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكُتّابه، فارتفع بهم قدره، وشاع في الآفاق ذكره " [٢].

ذلك عن متولى هذا الديوان، الذي يعد صورة عما وصل إليه الديوان من أهمية في تصريف أمور الدولة، بحيث أصبح متولى الديوان يبيت عند الخليفة أياماً لخصوصيته. ونلمح مع ذلك الأمر ما يعبر عن تشعب وظيفة هذا الديوان، بحيث تعدت مجرد الكتابة عن الخليفة، ما ذكره ابن الصيرفى حين يصف بعض أعمال الديوان، فيتحدث عن التوقيعات الخارجة عنه بما ينم عن تغلغل أعمال الديوان في الدولة كلها فيقول: والتوقيع عن حضرة الملك أمر جليل يجرى مجرى الإنشاء عنه،

---

(١) ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه أيمن فؤاد سيد، شتوتجارت _ ألمانيا ١٩٩٢،ص٨٧.

(٢) السابق، ص٩٦.

بل أوفى رتبة لأن به المنع والإطلاق، والصرف والتصريف، وغير ذلك من جلائل الأمور [١].

ذلك ما كان في الخلافة الفاطمية، أما في الدولة الأيوبية، فإن ديوان الإنشاء في أعماله وتنظيمه، قد صار على نفس المنوال، لحرص صلاح الدين الأيوبى على استقرار الأوضاع الإدارية كما كانت في عهد الفاطميين [٢]، وقد حظى الديوان وصاحبه بمنزلة رفيعة في هذه الدولة، تمثلت في عبارة صلاح الدين عن القاضى الفاضل " ما فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بأقلام القاضى الفاضل " [٣].

ومواكبة لهذا التطور في وظائف الديوان وعلو قدره السياسى والإدارى في الدولة، وجدت عدة مصنفات في ديوان الإنشاء، عبرت خير تعبير عن هذا التطور، وكانت هذه المؤلفات، إما خاصة بالديوان مباشرة، أو خاصة بنظم الإدارة في ذلك العصر. وباستعراض هذه المؤلفات نجدها ثلاثة كتب أُلفت خصيصاً في ديوان الإنشاء، وهى زمنياً " مواد البيان "

---

(١) السابق، ص٣٨.

(٢) حسن الباشا: السابق، ص٢٢.

(٣) الصلاح الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١٨، تحقيق أيمن فؤاد سيد، شتوتجارت، ص٣٥٠.

لعلى بن خلف، و" القانون في ديوان الرسائل " لابن الصيرفى، و" معالم الكتابة ومغانم الإصابة " [1] لابن شيث. ذلك بجانب عدة مؤلفات قريبة الصلة بهذه الكتب، وإن كان منهج مؤلفيها صار على درب الأولين من عنايتها بالبلاغة الأدبية، مثل كتابى ضياء الدين بن الأثير " المثل السائر"[2]، "الوشى المرقوم"[3]. بالإضافة إلى ما كُتب بغرض عرض الصناعة الأدبية أكثر من كونه لوصف عمل الديوان، أو لكيفية الكتابة، مثل مكاتبات القاضى الفاضل، التي حوت الرسائل والمكاتبات التي قام بكتابتها القاضى الفاضل في مدة خدمته بديوان الإنشاء [4].

(١) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، نشر الخورى قسطنطين الباشا المخلص، بيروت ١٩١٣.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بولاق، ١٢٨٢هـ.

(٣) الوشى المرقوم في حل المنظوم، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس، تحت رقم ٤٤٣٥.

(٤) توجد العديد من نسخ مكاتبات القاضى الفاضل قام بتجميعها نخبة من الكتاب تقديراً لقيمتها وهى مازالت في صورتها المخطوطة مثل:عبد الله بن على بن محمد الجعفرى:عيون الرسائل الفاضلية، مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٥٧٥٦؛ جمال الدين محمد بن نباته: الفاضل من كلام القاضى الفاضل، مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ٧٣٠٧؛ مكاتبات القاضى الفاضل، مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٥٧٥٧؛ محيى الدين بن عبد الظاهر: الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٩٤ أدب.

وعلى ذلك فإن ما يهمنا من هذه المصنفات، هى الثلاثة الأولى، مواد البيان، وقانون ديوان الرسائل، ومعالم الكتابة. ولعل أهمها من حيث كونه طفرة في التأليف في هذه المصنفات هو كتاب القانون في ديوان الرسائل لابن الصيرفى. فأول ما يلفت النظر والانتباه في هذا الكتاب أن صاحبه تخطى حواجز الأدب واللغة والبلاغة حين قرر تصنيف كتابه، فعلى الرغم من كونه عمل رئيساً للديوان، وأن القدرة الأدبية هى المعيار الأول للحكم على العاملين فيه، . وليس من المستغرب أن يكون إظهار قدرته الأدبية هى الدافع لقيامه بالتأليف . إلا أن الذي حدث أن ابن الصيرفى لفت نظره اتجاه آخر، هو اتجاهه نحو تصنيف كتاب عن إدارة الديوان ومؤهلات العاملين فيه، فشرع إلى وضع قانون للمعينين في الديوان من حيث المؤهلات الشخصية والعلمية، بالإضافة إلى طريقة العمل في الديوان وهو ما يعد من الأسس القوية التي انطلق منها كتاب الدساتير في عصر المماليك.

فقد ذكر ابن الصيرفى غرضه من تصنيف هذا الكتاب فقال " ولما رأيت أُولى الفِطر الصحيحة والعقول الرجيحة قد سبقوا إلى النّظَر في سائر العلوم ووضعوا فيها المصنفات، ونظموا ذكرها في الكتب المؤلفات، ثم انتقلوا عن ذلك إلى قوانين الأشياء فقرروا في كل منها ما كان أصلاً يُعْتَمَد عليه، ونَهوا عما كان فساداً لنظامها أو أدَّى إليه، وخالفوا بين أحكام تلك

التصنيفات لاختلاف الأزمنة وتباين البلاد والأوقات، فوجدتهم قد صنفوا في كتابة الخراج كتباً كثيرة، وعنوا بكتابة الجيش عنية كبيرة فألَّف كل من العراقيين والمصريين في ذلك ما وصلت إليه طاقته، واقتضاه ما أوجبه وقته والبلدُ الذي يحتلّه.

فأما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر أنواعه وتقاسيمه فقد أكثر منهم فيه المقال، وتوسع في تصنيفه وأطال، ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة الجليلة قدراً، النبيهة ذكراً، الرفيعة شأناً، العلية مكاناً، التي هى كتابة حضرة المَلِك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول والمكاتبة عنه إلى من قل من الأمم وجَلّ، وكيف يجب أن يكون متوليها وما يخصه من الأخلاق والأدوات وما يجب أن يكون فيه من الفضائل وأن يجتنبه من القبائح والرذائل، وكيف ينبغى أن تكون أمور أتباعه ومعينيه، وأى الحالات ينبغى أن يكون عليها ديوان الرسائل الذي يتولاه وينظر فيه. فلم يذكروا من ذلك دقيقاً ولا جليلاً، ولا شرحوا منه كثيراً ولا قليلاً، ومن ألَمَّ منهم بصناعة الكتابة فإنما تكلم على قوانين بعض أمورها ولم يُلِمّ بشىء مما ذكرته، وأكثرهم حَشَا كتبه الموضوعة لذلك باللغة والنحو والتصريف، فخرجت عن الغرض المقصود لأن لكل نوع من هذه الأنواع كتباً مُفْرَدَة

تستغرق ما يؤتى به في هذه المؤلفات وتشمل على أضعافه فالتماسها من هناك أولى، وطلبها من معدنها أجدر وأحرى"[١].

وبناء عليه فقد حوت هذه المقدمة منهج ابن الصيرفي لمعالجة الحديث عن ديوان الرسائل أو " الإنشاء "، وفي نفس الوقت وضع من حيث لا يعلم المنهج الذي سار عليه كُتّاب الدساتير في عصر المماليك، وهو وضع قانون للديوان، وإن كان من وجهة نظرهم قانون ودستور منظم للمصطلح المستعمل بالديوان.

وبجانب ابن الصيرفي الذي كانت تسميته لكتابه قانون ديوان الرسائل مدعاة لأن يحذو حذوه من يأتي بعده من المؤلفين في هذا الفن، فإننا نجد اثنين آخرين كان لمؤلفاتهما كبير الأثر في أن تكون أساساً لحركة التأليف في ديوان الإنشاء. فنجد على بن خلف في كتابه " مواد البيان، وابن شيث في " معالم الكتابة "، قد اتفقا في منهج معالجة هذا الموضوع بصورة كبيرة. إذ إنهما خصصا جزءاً منه في الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للإنشاء، بجانب وضع بعض الضوابط التي يجب أن يسير عليها الكاتب من الناحية البلاغية، من كلمات ومصطلحات ظهرت في عصريهما، خاصة عند ابن شيث الذي كان كتابه مرحلة انتقالية بين

---

(١) قانون، ص٤ – ٥.

كتب ديوان الإنشاء ذات الزخم البلاغى، وكتب الدساتير التي تُعنى بتنظيم نظم الكتابة وخاصة المصطلح.

وللتعرف على ذلك نستعرض في عجالة موضوعات كلا الكتابين لكى نتبين ذلك التطور الحادث في منهجية التأليف في مصنفات ديوان الإنشاء قبل عصر المماليك. فعلى بن خلف [١] في مواد البيان قسم كتابه إلى عشرة أبواب:

الأول: في حد صناعة الكتابة وفضيلتها.

الثاني: في البلاغة وأقسامها.

الثالث: في أقسام البلاغة الفرعية.

الرابع: في صناعة البديع.

الخامس: فيما يخرج الكلام عن أحكام البلاغة.

السادس: في أن الطبع هو قوام الصناعة ونظامها.

السابع: في أوضاع الخط وقوانينه.

---

(١) هو الوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف بن محمد على بن خلف، تولى الوزارة في مصر عام ٤٥٧ هـ/١٠٦٤م، وكان أبوه من وزراء العباسيين فقد وزر لبهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة بن بويه. قتله أمير الجيوش بدر الجمالى حينما تولى الوزارة للخليفة المستنصر عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣م. ابن الصيرفى: الإشارة، ص٩٢؛ المناوى: الوزارة، ص١٠٤.

الثامن: في رسوم المكاتبات.

التاسع: في آداب الصناعة.

العاشر: في آداب السياسة.

وباستقراء عناوين هذه الأقسام، يتضح أن هناك اهتماماً كبيراً من ابن خلف إلى تأصيل أصول صناعة الإنشاء من الناحيتين البلاغية والاصطلاحية، فنجده قد خصص للهدف الأول الأبواب الثاني إلى السادس، ثم خصص للهدف الثاني الأبواب من السابع إلى العاشر، مع وضع الباب الأول كمدخل لفضيلة الكتابة عامة وكتابة الإنشاء خاصة [1].

وقد ضرب ابن خلف العديد من الأمثلة التي يحتذى بها كاتب الإنشاء حين كتابته عن أى فرع من فروع المكاتبات، وهو بذلك قد وضع بذرة الاهتمام بمصطلح الكتابة . أو بلغة أهل الإنشاء في عصر المماليك " دستوراً لصناعة الإنشاء " ـ مما جعله مصدراً يعتمد عليه كل من القلقشندي وصاحب الثغر في العديد من الضوابط التي وضعت لصناعة الإنشاء. وبذلك كان كتاب مواد البيان خطوة أولى في تصنيف كتب

(١) **Abd al-Hamid Saleh;"Une source de Qalqaŝandī Mawâdd al-Bayân,et son auteur Alī ibn Halaf ",Arabica ,xx.1973,pp.192-200.**

الدساتير، تبعتها خطوة أخرى قام بها ابن الصيرفي حين وضع قانونه لديوان الرسائل.

وبناء على هذا التطور في أسلوب الكتابة المبنى على تبيان أصول العمل داخل ديوان الإنشاء، مع وضع الخبرة البلاغية في الاعتبار، جاء كتاب ابن شيث [١] " معالم الكتابة ومغانم الإصابة ". وقد استن ابن شيث سنة جديدة على عصره بقيامه بالتأليف من وحى الخبرة لا من حيث النقل عن الآخرين [٢]، على الرغم من قيام ابن الصيرفى بهذا الأمر أيضاً إلا أن ابن شيث تميز عليه بقيامه بالحديث عن قانون العمل بالديوان، - كما فعل ابن الصيرفى - مع قيامه بالحديث عن اصطلاحات الكتابة المستخدمة في عصره، وعلى ما استقر عليه المصطلح في زمانه، مع عدم إغفال التنبيهات البلاغية الواجب اتباعها ممن يتصدون لصناعة الكتابة.

وقد قسم ابن شيث كتابه إلى سبعة أبواب:

الأول: عن نظام الإدارة في ديوان الإنشاء وتنظيم المصطلح.

---

(١) هو عبد الرحيم بن على بن الحسين بن شيث، القاضى الرئيس جمال الدين الأموى الأسنوى القوصى، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظم عيسى، ولد عام ٥٥٧ هـ | ١١٦١ م، توفى عام ٦٢٥ هـ | ١٢٢٧ م. الصفدى: السابق، ج١٨، ص٣٧٩، ت رقم٣٩٥.

(٢) ابن شيث: معالم الكتابة، ص٦؛ حسن الباشا: السابق، ص٣٩.

الثاني: في طبقات التراجم وأوائل الكتب وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين.

الثالث: في ذكر وضع الخط وحروفه وبرى القلم وإمساكه.

الرابع: عن البلاغة وما يتصل بها من إيجاز وإطناب.

الخامس: في ألفاظ يقوم بعضها مقام بعض.

السادس: في الأمثال التي يدمجها الكاتب في كلامه.

السابع: فيما لابد للكاتب من النظر فيه والتحرز منه.

ويتضح من موضوعات ابن شيث، أنه قد استهل كتابه بباب عن نظام الإدارة في ديوان الإنشاء، وتنظيم المصطلح كأهم الموضوعات التي يبدأ بها كتابه، ثم كانت الأبواب التالية تتناول موضوعات ذات صلة بصناعة الإنشاء ورتب المصطلح.

وبناء على استعراض هذه الكتب الثلاثة [١] التي غطت عصرى الفاطميين والأيوبيين، نجد أنفسنا أمام تطور ظاهر في الكتب التي صنفت عن ديوان الإنشاء وصناعة الكتابة من حيث المنهج في موضعين. الأول في معالجة مواضيع جديدة خاصة بديوان الإنشاء، وهى قانون العمل بالديوان، وطريقة عمل الموظفين بداخله.

الثانى الاعتماد على الخبرة الشخصية في القيام بتصنيف هذه المؤلفات، بما يعنى أنها أصبحت المصدر والمورد الأول في طرق الكتابة، ويليها إن وجد المصادر الأدبية بأنواعها المختلفة.

المرحلة الثالثة والأخيرة

وتُعنَى هذه المرحلة من مراحل تطور كتب الدساتير بفترة عصر الدراسة عصر المماليك بشقيه البحرى والجركسى، وكما ذُكر من قبل فإن أساس تتبع هذا التطور هو محاولة الربط بين تطور الديوان في وظائفه وعلو شأنه سياسياً وإدارياً، وملامح العصر الثقافية، وبين حركة التأليف

---

(١) بجانب هذه المصنفات هناك مصنف آخر يعتقد أنه كان مشابها لكتاب ابن الصيرفى ألفه أحد كتاب الإنشاء في العصر الفاطمى الأخير وبداية الأيوبى ـ كما يذكر ذلك القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٩٨ ـ اسمه أبو الفضل الصورى لاعتماد القلقشندي وصاحب الثغر عليه بصورة كبيرة وهو بعنوان " التذكرة "، وهو من الكتب المفقودة.

لمصنفات ديوان الإنشاء. وعلى ذلك فإن محاولة تتبع ذلك التطور بناء على ما توفره المصادر من معلومات، حول ما وصل إليه ديوان الإنشاء سياسياً وإدارياً في ذلك العصر، سيكون خير معين لفهم لماذا اتخذت هذه المؤلفات هذا الشكل وبعدد ملحوظ في سنوات قليلة؟

في البداية فإن ديوان الإنشاء في عصر المماليك قد علا قدره، واتسعت دائرة عمله، واشتمل على العديد من المهام التي كانت لبعض الدواوين الآخرى، نتيجة بعض الإصلاحات السياسية والإدارية طوال هذا العصر، وهذه الإصلاحات كانت بسبب عاملين:ـــ

١- رغبة بعض السلاطين في أن يختص بعض الأفراد بمهام معينة لا يطلع عليها سائر موظفى السلطنة.

٢- ازدياد نفوذ بعض كتاب السر لدى بعض سلاطين هذه الفترة، مما أضاف إلى مهامهم بعض الاختصاصات التي وسعت دائرة نفوذهم، وبالتالى نفوذ ديوان الإنشاء.

وإذا ما تم النظر إلى العامل الأول، فإن أوضح صورة له تظهر في عهد المنصور قلاوون، إذ تحدثنا المصادر التاريخية أن المنصور قلاوون قد استحدث وظيفة كاتب السر، بالإضافة إلى أنه قد فصل بين إشراف الوزير على تلك الوظيفة .كما هو متبع منذ قيام الخلافة الفاطمية في

مصر، ومن قبلها الخلافة العباسية . وبين استقلال كاتب السر بجميع شئونها [١].

ذلك ما كان خاصاً باستحداث الوظيفة واستقلال كاتب السر عن إشراف الوزير. وقد عُد ذلك كمرحلة أولى في طريق ارتفاع شأن الديوان وصاحبه، ثم تلاها قيام الناصر محمد باستحداث بعض الوظائف، مثل ناظر الخاص وما استتبعها من إلغاء وظيفة الوزير، وتفرق بعض اختصاصاته على الأستادار وكاتب السر وناظر الخاص [٢].

---

(١) لقد ذكر المؤرخون أن سبب استحداث هذه الوظيفة في عصر قلاوون أنه قد سمع الظاهر بيبرس يقول بعد أن عرضت عليه إحدى المسائل المالية بسبب خطاب كتب عن لسانه: ينبغي أن يكون للملك كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاهاً، وأما عن مظاهر فصل إشراف الوزير على كاتب السر فتظهر في قيامه بمنع الوزير ابن لقمان من قراءة إحدى الرسائل في وجود ابن عبد الظاهر على غير المتبع من قبل بقيام الوزير بقراءة أي رسالة على السلطان طالما كان موجوداً في مجلسه. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، القاهرة ١٩٣٠ . ١٩٧٢، ج٧، ص٣٣٢،٢٩٣. ٣٣٤؛ أحمد دراج: صناعة الكتابة، ص٦١. ٦٢.

(٢) القلقشندي:السابق، ج٤، ص٢٨_٢٩؛المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٢٣؛ أحمد دراج:السابق، ص٧٠_٧١؛ حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك، القاهرة ١٩٦٩، ص١١٨.

واستمر ذلك الأمر إلى بداية عصر الجراكسة حين قام الظاهر برقوق برفع أى رقابة على عمل كاتب السر، وبالتالى عضد استقلالية ديوان الإنشاء، حين استقل كاتب السر في عرضه لرسائل السلطان، سواء الصادر منها والوارد، عن أن يطلع عليها الدوادار [١]، الذي ظل له سلطة على كاتب السر حتى ذلك الوقت [٢]، وبالتالى تمت آخر مظاهر استقلال ديوان الإنشاء.

وأما عن الاختصاصات الإدارية التي أضيفت إلى كاتب السر بناء على هذه التطورات الوظيفية، فكانت في إشرافه على البريد [٣] - وهو ما كان من أعمال الدوادار -، والجلوس بين يدى السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه[٤]. وهو ما كان من مهام الوزير -، بالإضافة

---

(١) المقريزى: السابق، ج٢، ص٧٧_٧٨؛ أحمد دراج: السابق، ص٨٠_ ٨١؛ Wiet G., Les secretaries de la chancellerie en Egypte sous les sultans circassiens,MélangesRené Basset,Paris,1923,pp.272-273.

(٢) ابن خلدون: العبروديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧٩، ج١، ص٤٣٨؛ المقريزى: نفسه.

(٣) القلقشندي: السابق، ج١، ص١١٤_١١٨؛ السحماوي: الثغر، ورقة ١٠١ ب.

(٤) القلقشندي: السابق، ج١، ص١١١؛ المقريزى: السابق، ج٢، ص٢٢٦_٢٢٧؛ السحماوي: السابق، ورقة ١٠٦ ب.

إلى ما استحدث من مهام لكاتب السر، من النظر في أمر السعاة والنجابة والجواسيس، والنظر في الفداوية، والنظر في المهمندارية والتراجمة [١].

وأما عن علو شأنه سياسياً، فلن نجد أفضل من المقريزى في عبارته الموجزة التي تتحدث في ذلك الأمر حين يقول: ولذلك يحتاج إليه سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والأقلام [٢].

وأما عن العامل الثانى الخاص بدور بعض من تولوا وظيفة كاتب السر، وأثر توليهم لها على ازدياد نفوذ الديوان، فيمكن ملاحظة ذلك في بعض الشخصيات البارزة في تاريخ الديوان، كأوحد الدين عبد الواحد [٣]،

---

(١) عن هذه المهام انظر: القلقشندي: السابق، ج١، ص١١٠_١٢٩؛ السحماوي:السابق، ورقة ١٠١ أ _ ١٠٧ ب.

(٢) الخطط، ج٢، ص٢٢٧. بجانب ذلك فقد وضع المقريزى عن كُتّاب السر مؤلفاً لم يصل إلينا، ذكر اسمه في الخطط بعنوان " خلاصة التبر في أخبار كُتّاب السر " الخطط، ج٢، ص٦٣.

(٣) أوحد الدين التركمانى : عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين بن القاضى تاج الدين الحنفى ، تولى كتابة سر مصر من شوال سنة ٧٨٤ إلى ذى الحجة عام ٧٨٦ هـ/ ديسمبر ١٣٨٢ إلى يناير ١٣٨٥ م . ابن حجر : إنباء ، ج١ ، ص٢٩٥ ؛ الدرر ، ج٣ ، ص٣٤ ، ت رقم ٢٥٣٢ ؛ ابن تغرى بردى : المنهل ، ج٧ ، ص٣٧٦-٣٧٧ ت رقم ١٤٩٥ ؛ Wiet,Op.Cit,P.272-273; Björkman W.,

ن

الذي أدى قربه من الظاهر برقوق إلى انفراده بالبريدية دون الدوادار .كما ذُكر أنفاً، وسعد الدين بن غراب[١]، الذي لعب دوراً سياسياً تعدى تأثيره الدور الإدارى للديوان، إلى أن أصبح متولى وظيفة كاتب السر، أحد أقوى الشخصيات في السلطنة المملوكية[٢]. ويمكن القول أنه في خلال العصر الجركسى أصبح المعيار لتولى وظيفة كاتب السر هو المعيار السياسى بعيداً عن المعايير الأدبية إلى حد كبير، نتيجة تعاظم دوره

Beiträge zur geschichte der staatskanzelerei im islamischen Ägypten, hamburg,1928, P.69

(١) سعد الدين بن غراب : سعد الدين إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب، أحد الشخصيات المؤثرة فى تاريخ المماليك فى ذلك الوقت على الرغم من عمره القصير حتى وصل إل أن يكون من الأمراء الكبار فى السلطنة ، تولى كتابة السر من ربيع أول إلى جمادى الآخرة من عام ٨٠٨ هـ/ سبتمبر إلى نوفمبر ١٤٠٥ م . المقريزى : السابق :ج٢ ، ص٤١٩_٤٢٠ ؛ **Wiet,Op.Cit,P.277-283;** **Björkman,Op.Cit, P.69**

(٢) مما يدل على نفوذ ابن غراب أن ابن حجر قال عنه " إنه كان يصرح بالتمكين أنه أزال دولة وأقام أخرى، ثم أعاد الأولى من غير حاجة إلى ذلك، وأنه لو شاء لأخذ الملك لنفسه من غير مانع ". إنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٩.

السياسي. وأصبحت مهمة الإشراف الأدبى منوطة بنائب كاتب السر [1]، ويكفى للتدليل على ذلك الأمر أن نتصفح طريقة تعيين وتولية كتاب السر

(١) لقد تحدث العديد من المؤرخين عن مشاهير أهل الأدب والبلاغة في هذا العصر العاملين بديوان الإنشاء والذين وصلت مرتبة بعضهم داخل الديوان إلى أن يشغلوا وظيفة نائب كاتب السر، بل كان هناك صراحة من قيل عنه أن غالب أمور الديوان تجرى بنظره وأن كاتب السر ما هو إلا مؤمن عليها. عن ذلك انظر ترجمة كل من شرف الدين ابن الأشقر، وابنه معين الدين: ابن تغرى بردى:المنهل. ج٧ص٣٥٢_٣٥٣،ت رقم ١٤٨٧؛خليل بن شاهين الظاهرى: كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك.مخطوط لدى محمد عيسى صالحيه ويجرى تحقيقه،ورقة ٧ أ؛ السخاوى:الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. القاهرة ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤ م.ج٤. ص٣٢٥_ ٣٢٦؛ ج١١. ص٣٣. ت رقم٩٠.

بدولة المماليك الجراكسة، لنعرف أن المنصب خرج عن نطاقه الأصلى، وأصبح منصباً سياسياً بالدرجة الأولى [١].

ذلك من جهة مكانة الديوان وتطوره السياسى والإدارى، بحيث قفز من كونه ديوان تخرج منه المكاتبات، بناء على ما ترسله إليه بقية الدواوين، فيعيد هو صياغتها الأدبية، بحيث تخرج في صورة بلاغية وأدبية تليق بالدولة. إلى أن أصبح الديوان يقوم بالإشراف وتقرير بعض السياسات الخاصة بالدولة والرعية على حد سواء، بحيث أصبحت كل الدواوين تصب فيه، ومن خلاله يتم العمل سواء في ديوان الجيش أو النظر أو غيرهما من الدواوين.

---

(١) لقد كانت من أهم مظاهر هذا العصر قيام الساعين للوظائف عامة والعالية منها خاصة بدفع الرشا لطبقة الأمراء وللسلطان نفسه لأجل الحصول على الوظيفة، ولذلك طال الأمر وظيفة كاتب السر على خطورتها ونتيجة ما يتمتع به متوليها من نفوذ سياسى داخل الدولة تولاها بعض جهال الأدب والبلاغة بل والأمور البسيطة من الدين والفقه اللازمين لهذه الوظيفة. وعن ذلك انظر: ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٩٤ . ١٩٩٨. ج٣، ص٣١٣-٣١٤. ٤٣٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم. ج١٤، ص١٧٤_١٧٥.٣٢٦؛ أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك. القاهرة١٩٧٩، ص٧٦_٨٦.

وأما عن الطور الأخير الذي وصلت إليه أشكال الكتب المصنفة في صناعة الإنشاء وديوانه، فهى كتب المصطلح ورتب المكاتبات. أو التي درج المعاصرون في هذا الوقت على تسميتها بكتب الدساتير. وتحديد ماهية هذه الكتب، يخضع لمفهوم أهل ذلك العصر عنها، ولتأكيده لابد من استعراض أشكال المؤلفات الخاصة بصناعة الإنشاء عامة في عصر المماليك، قبل الشروع في تحليل وعرض هذه الكتب. فالكتب ذات الصلة بديوان الإنشاء كانت على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هو ما حاول فيه المؤلفون أن يتلمسوا خطى السابقين عليهم من الأدباء . على اعتبار أن هذه المهنة هى مهنة الأدباء . في تصنيف كتبهم. فجاءت هذه الكتب ذات صبغة أدبية بلاغية، ولعل أهمها في ذلك الوقت هو كتاب " حسن التوسل في صناعة الترسل " للشهاب الحلبى [١] أحد مشاهير كتاب الإنشاء في العصر المملوكى، وتولى كتابة سر دمشق عهد الناصر محمد ابن قلاوون، وتوفى عام ٧٢٥هـ | ١٣٢٤م[٢].

---

(١) شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبى: حسن التوسل إلى صناعة الترسل. تحقيق أكرم يوسف عثمان. بغداد.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم. ج٩. ص٢٦٤.

النوع الثاني: هو محاولة تجميع نماذج للرسائل والمكاتبات التي كتبت في ديوان الإنشاء من قبل أساطين الكتابة به. وقد صنف العديد من الكتب بهذا الشكل في عصرى المماليك البحرى والجركسى، مثل الصفدى، الذي تولى العديد من المهام بديوان الإنشاء، المتوفى عام ٧٦٣هـ | ١٣٦١م [١]، فقد قام بتجميع نماذج لمراسلات ومكاتبات السابقين عليه، ومكاتباته هو، وجعلها في كتاب سماه " التذكرة ". ويوجد من هذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت اسم" قانون الترسل " رقم ٤١١ أدب تيمور.

وأيضاً هناك ابن حجة الحموى، أحد مشاهير كتاب الإنشاء، ومن الشعراء الكبار في ذلك العصر، المتوفى ٨٣٧هـ | ١٤٣٣م [٢]، فقد صنف كتابه " قهوة الإنشاء " ليكون أنموذجاً للمكاتبات. ويوجد من هذا الكتاب العديد من النسخ المخطوطة منها نسخة المكتبة الأهلية بباريس، تشمل الجزء الأول من الكتاب تحت رقم ٤٤٣٨، وهى نسخة علقها

---

(١) ابن حجر: الدرر. ج٢، ص٢٠٧ . ٢١٠. ت رقم ١٦٥٤.

(٢) هو أبو بكر بن على بن عبد الله التقى الحنفى الأزرارى، المعروف بابن حجة، ولد عام ٧٦٧ هـ/١٣٧٤م بحماه. ارتحل إلى الشام ثم القاهرة فاستقر كاتباً بديوان الإنشاء في عصر المؤيد شيخ. ورجع إلى حماة عام ٨٣٠ هـ/١٤٢٦م ومات بها. السخاوى: السابق. ج١١. ص٥٣_٥٤. ت رقم ١٤٤.

لنفسه من الكتاب الأصلى أحد الكتاب المعنيين بالإنشاء، وهو أحد الموقعين بديوان الإنشاء بدمشق، بل تولى كتابة سرها وهو عبد الكافى بن أحمد الذهبى الشافعى المتوفى عام٨٥٧ هـ | ١٤٥٣ م[١]، ونسخة أخرى في مكتبة جامعة كمبردج تحت رقم Q٤٥، ونسخة بمكتبة ليدن تحت رقم Or٤٥٢، ونسخة بمكتبة الجزائر الوطنية تحت رقم ١٨٩٨.

وآخر نموذج لهذا النوع من الكتب الخاصة بنماذج المكاتبات، هو كتاب مجهول الاسم والمؤلف معاً بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٤٤٠، وهو يشتمل على نماذج عديدة من المراسلات السابقة عليه بزمن طويل للصلاح الصفدى، وابن نباته، والعمرى. وقد أخذ جانباً كبيراً من كتاب قهوة الإنشاء لابن حجة، بحيث مثل أكثر من ثلث الكتاب، ثم أعطى لنفسه الحرية لتسجيل المراسلات التي تمت إلى عهد السلطان الأشرف قايتباى (٨٧٢ _ ٩٠١هـ | ١٤٦٧ _ ١٤٩٥م)، حيث وصلت أحدث رسالة لديه لعام ٨٧٢هـ | ١٤٦٧م.

وبجانب ذلك هناك العديد من الكتب المفقودة مثل كتاب "تذكرة اللبيب " لابن المكرم كما يسميه القلقشندي، أو " ذخيرة الكاتب " كما يسميه ابن الفزات [٢]

---

(١) السابق، ج٤. ص٣٠٢، ت رقم٨١٣.

(٢) شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون، بيروت ١٩٩٠،ج٣، ص٢٣١، ٢١٠.

النوع الثالث: وهو بدوره انقسم إلى صنفين:

الصنف الأول: كتب الدساتير التي وضعت لترسيخ نظم الكتابة في هذا العصر، وهى الكتب التي أخرجت هذه المصنفات من حيز البلاغة إلى حيز القوانين المنظمة لترتيب الألقاب ومصطلحات الكتابة المستعملة بديوان الإنشاء. وهذه الكتب هى " عرف التعريف " و"التعريف بالمصطلح الشريف " للشهاب العمري، و" تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف " لابن ناظر الجيش.

الصنف الثانى: هو ما اشتمل على الصنف الأول بالإضافة إلى تأصيل عمل الديوان من جميع النواحى الإدارية والاصطلاحية. وهذه الكتب هى " صبح الأعشى في صناعة الإنشا "، "ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر " لأبى العباس القلقشندي، و" الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم "، و" العرف الناسم من الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم " للشمس السحماوي.

تلك هى الكتب التي وصلت إلينا حتى الآن، ولكن هناك العديد من الكتب المفقودة وصل إلينا اسمها وهى "المنيف في الإنشاء الشريف"

لخليل بن شاهين الظاهرى [١]، و" إجابة السائل في معرفة الرسائل " لأحد المؤلفين المجهولين [٢].

وبعد استعراض أنواع المؤلفات التي عنيت بصناعة الإنشاء عامة، لابد من تحديد المؤلفات محل الدراسة، وهى كما ذُكر أنفاً النوع الثالث منها وذلك للأسباب الآتية:

١- أن هناك فرقاً لدى العاملين في الديوان فيما بين الدستور، والترسل، والتذكرة. فكلمة الدستور كما وضح من معناها في بداية هذا الفصل هو القانون الذي يسير عليه كُتّاب الديوان في ترتيب المصطلح. والترسل هو الكتب التي تُعنى في المقام الأول بالبلاغة الأدبية، والتذكرة هى الكتب التي تُعنى بنماذج المراسلات على سبيل انتهاج مثلها من قبل العاملين بالديوان وإن كان في بعض الأحيان تدرج ضمن كتب الدساتير كما يلاحظ في مصادر كتابى القلقشندي والسحماوى [٣]. وبنظرة

---

(١) ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٢٥٨_٢٦١،ت رقم ١٠٠٣؛ السخاوى:الضوء،ج٣، ص١٩٥_١٩٧، ت رقم ٧٤٨.

(٢) انظر فيما بعد ص٥٤.

(٣) انظر: صبح الأعشى، ج٧، ص٣٣٦،ج٨، ص٧، ج١٠، ص١٥٤؛ الثغر الباسم، ورقة ١٢ ب، ١١١ب.

على مصادر كتاب صبح الأعشى للقلقشندى كما صنفها بيوركمان [١] نستطيع أن نرى هذا الأمر بوضوح فيما اعتمد عليه من مصادر، بحيث أطلق لفظ دستور على الكتب التي تعالج رتب المصطلح، مع التفرقة بينها وبين كتب البلاغة والأدب.

٢- أن مقدمات بعض هذه المؤلفات قد فرقت بين كتب الدساتير، وبين غيرها من مصنفات صناعة الإنشاء، فابن حجة الحموى قال في مقدمة كتابه: فإني ما أدرت كأس الإنشاء يمناً إلا ليطيب المتأمل بتنقله من شطوط البحور إلى التنزه في رياض المنثور، ولم يفتقر إن كان من أهل الذوق إلى حسن توسل ودستور[٢]. وعلى ذلك فإنه فرق بين كتابه كمصنف لنماذج المراسلات، وبين غيره من الكتب المنظمة لرتب المصطلح.

٣- بنظرة على مقدمات كتب " عرف التعريف، التعريف، التثقيف، صبح الأعشى " نجد مؤلفيها قد صنفوا كتبهم على أنها دساتير للمكاتبات بديوان الإنشاء [٣].

---

(١) Björkman W., Beiträge zur geschichte der staatskanzelerei im islamischen Ägypten, hamburg,1928.P.76–78.

(٢) قهوة الإنشاء، ورقة ٢أ_٢ب.

(٣) انظر قبل، ص٤ . ٥.

٤- أن محاولات بعض القائمين على ديوان الإنشاء مثل كاتب السر محمود الكلستانى، الذي تولى كتابة السر عام ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣م، بتغيير نظم الكتابة، بحيث تخضع للمعيار البلاغى، قد قوبلت بمقاومة من العاملين بالديوان [١]. مما يعنى أن هناك فرقاً بين الجانب الأدبى، وفنون المصطلح، التي أصبحت ذات مكانة تدعو الحاجة إلى إفراد مصنفات خاصة بها بعيداً عن المؤلفات الأدبية البلاغية. وبالتالى فإن كتب الدساتير كانت تعنى لدى أهل ذلك العصر الكتب الخاصة بمصطلح الكتابة.

وعلى ذلك فإن هذه الدراسة ستُعنى في المقام الأول بالكتب الخاصة برتب المكاتبات دون سواها من المؤلفات التي اعتنت بالجانب البلاغى فقط. والتى عنيت بنماذج المراسلات أيضاً.

---

(١) عن هذا انظر ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٩٠؛ السخاوى: الضوء، ج٧، ص٢٢١. ج١٠، ص١٣٧.

الفصل الثانى

مؤلفو الدساتير وكتبهم

بعد أن تم تحديد نوعية الكتب التي ستقوم عليها الدراسة، فإنه يجب علينا أن نرصد هذه المؤلفات ومؤلفيها، وذلك بقصد رصد أهم التطورات التي ألمت بكتب الدساتير على يد هؤلاء الكُتّاب. وسوف يعتمد هذا الرصد على محاولة التعريف بشخصية هؤلاء الكُتّاب ـ كل كاتب على حدة ـ، وإسهاماتهم في تأليف هذه الكتب، من خلال التعرض لمناهجهم في الكتابة. والمصادر التي اعتمدوا عليها في تأليف هذه الكتب.

شهاب الدين العمري

(٧٠٠. ٧٤٩ هـ/١٣٠٠.١٣٤٨م)

هو القاضي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، أحد أفراد الأسرة العمرية، ذات الباع الطويل في صناعة الإنشاء والقيام بمهام كاتب السر للعديد من سلاطين الدولة المملوكية[1]، وعلى وعلى وجه الخصوص الأسرة القلاوونية حتى عهد الظاهر برقوق، إذ كان أخرهم بدر الدين بن فضل الله المتوفى عام ٧٩٦ هـ|١٣٩٣م [2].

وشهاب الدين العمري أحد أفذاذ هذه الأسرة في فن الإنشاء والأدب، ولد عام ٧٠٠ هـ| ١٣٠٠ م، وتوفى في حدود عام ٧٤٩

---

(١) تولى وظيفة كاتب السر خمسة من أفراد الأسرة العمرية خلال عهد الأسرة القلاوونية، كان أولهم القاضي شرف الدين بن عبد الوهاب بن فضل الله [ت ٧١٧هـ| ١٣١٧م] في عهد الأشرف خليل بن قلاوون. وذلك عام ٦٩٢هـ| ١٢٩٢م. انظر: القلقشندي:صبح،ج١، ص٩٧؛ السحماوي: السابق. ورقة ١٥ ب؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٧، ص٣٨٧_٣٩٠، ت رقم ١٥٠٣.

(٢) القلقشندي: السابق، ج١، ص٩٨؛ المقريزى: المقفى، ج٦. ص٣٨٩_٣٩٣. ت رقم ٢٨٦٠؛ السحماوي: السابق، ص Wiet; Op.Cit.p274_275.

هـ | ١٣٤٨م [1]، قد قام بوضع العديد من المؤلفات الأدبية والجغرافية، بالإضافة إلى المؤلفات ذات الصلة بديوان الإنشاء، منها:_

١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

٢- الشتويات.

٣- الجواهر الملتقطة.

٤- التذكرة.

٥- عرف التعريف.

٦- التعريف بالمصطلح الشريف.

---

(١) اختلفت بعض الآراء حول تاريخ وفاة العمري هل كانت عام ٧٤٨ أو ٧٤٩ هـ، وما سبب موته في هذه السن المبكرة هل كانت بسبب الطاعون أم بسبب حمى الربع. انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوروتيا كرافولسكى، بيروت ١٩٨٥، مقدمة المحققة، ص ٥٧؛ الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٨. ص٢٦٨، المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٥٧ . ١٩٧٣، ج٢ق٢، ص٧٩٢؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦: ج١، ص٣٥٤، ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٠، ص٣٣٤؛ كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم: بيروت ١٩٨٧. ص٤٤٢.

وهذه المؤلفات يشتهر منها اثنان، هما مسالك الأبصار، والتعريف بالمصطلح الشريف. فأما مسالك الأبصار فكتاب كبير يعده المحدثون من الباحثين بحق موسوعة أدبية جغرافية تاريخية[1]، وقد كان الغرض الأساسى للعمرى حين وضع موسوعته كما نص في مقدمته لها،

---

(١) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨٥، ص٧ م؛ كراتشكوفسكى: السابق، ص٤٤٤؛ محمد عبد الله عنان: أبو العباس القلقشندي، مقال ضمن ندوة " أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ". القاهرة ١٩٧٣ ص١١_٢١. ص١٣.

أن تكون معيناً للعاملين بديوان الإنشاء في عملهم [١]. وقد تم نشر العديد من أجزاء هذه الموسوعة باللغات العربية والأجنبية [٢].

---

(١) أحمد دراج: صناعة الكتابة، ص١٦٧؛ Gaudefroy- Demombynes M.,La Syrie à l' époque des Mamlouks, Paris 1923 , p. IV

(٢) كان أول جزء من هذه الموسوعة قد نشر على يد أحمد زكي باشا عام ١٩٢٤ بالقاهرة. وجزء اقتطعه حسن حسني عبد الوهاب من الكتاب خاص بجغرافية إفريقية والأندلس عام ١٩٢٥؛ وجزءان قامت بتحقيقهما دروتيا كرافولسكي عن قبائل الأعراب في مصر والشام عهد المماليك، تاريخ دولة المماليك البحرية عامي ١٩٨٥. ١٩٨٧ وجزء عن جغرافية مصر والشام والحجاز واليمن قام بتحقيقه أيمن فؤاد سيد عام ١٩٨٥؛ بالإضافة إلى أجزاء مقتطعة منه مترجمة إلى لغات عدة فرنسية وألمانية وإيطالية مثل. نشرات كاترمير Quatremère M.,Notice de l' ouvrage qui pour titre Mesalek al-Absar fi Memalek al- Amsar,dans Notices et extraits des manuscrits de la Bibliotheques du Roi et autres Bibliothèque 13, 1838, p. 151-384، وميخائيل أماري Amari M.، Al-Umari,Condizioni dei Crisiani dell Occidente secondo una relazion di Domenichino Dorio da Genova, in Atti della R: Accademia dei Lincei , serie III,t.XI 1883,p.67-103.

وقد قام العمري بتصنيف العديد من المؤلفات الخاصة بديوان الإنشاء غير كتابى "عرف التعريف"، و"التعريف بالمصطلح الشريف"، مثل: "عرف التقليد"، و"التذكرة "، و "الجواهر الملتقطة". ولكن الدستور الذي حاز شهرة واسعة هو كتاب التعريف، لكونه الأثر الوحيد الباقي للعمرى في هذا المضمار، ولكن أمكن للباحث أن يعثر على كتاب آخر للعمرى هو كتاب "عرف التعريف"، موجوداً بالمكتبة الأهلية بباريس، ضمن كتاب "الإعلام بمصطلح الشهود والحكام"، للقاضى نجم الدين إبراهيم بن على الطرسوسى [ت ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤م] تحت رقم ٩٢٦، من صفحات ٩٤ ب إلى ١٠٨ ب. ولذلك سوف تشتمل الدراسة عن العمري وكتبه، هذا الكتاب أيضاً، وسوف يسبق الحديث عنه كتاب التعريف لكونه أسبق منه كما سيتضح بعد قليل.

عرف التعريف

وكتاب عرف التعريف المنسوب للعمرى، ظل الشك يحوم حول نسبته إليه، للملاحظة التي أبداها حاجى خليفة في أن يكون هذا الكتاب للعمرى [1]، بل أن بعض الباحثين على أحسن الفروض، قد

---

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. ج١، ص٤٢١.

جعلوه مختصراً للتعريف [١]، إلا أن الواقع غير ذلك تماماً. فالكتاب هو كتاب العمري، وكان معروفاً لمعاصريه واللاحقين عليه، فقد ذكره القلقشندي بصراحة منسوباً إلى العمري حين يقول " قال المقر الشهابى ابن فضل الله في عرف التعريف"[٢]. ونرى أن هذا الكتاب هو المسودة الأولى للتعريف، الذي قام على أساسه العمري بتأليف كتابه الأشهر · التعريف . وذلك للأسباب الآتية:

١- أن العمري في مقدمة التعريف، ذكر أن له مؤلفا آخر صغيراً، قد قام بتصنيفه في شبابه في نظم ألقاب ديوان الإنشاء، فقال " فذكرت بالدستور الذي كنت عملته في عنفوان الصبا بالأبواب السلطانية بديوان الإنشاء"[٣].

٢- أن القلقشندي حين يناقش وضع الألقاب وترتيبها، كان في الغالب يبدأ بعرف التعريف ثم التعريف والتثقيف حسب ما تم الاختلاف أو الاتفاق عليه بين الكتب الثلاثة [٤].

٣- بناء على المتغيرات التي كانت بين عرف التعريف من جهة، والتعريف والتثقيف من جهة أخرى . على اعتبار أن الأخيرين

---

(١) العمري: التعريف: مقدمة المحقق، ص٧.

(٢) صبح، ج٥، ص٤٩٤.

(٣) التعريف. ص١٣.

(٤) انظر على سبيل المثال، صبح، ج٦، ص١٦٣؛ ضوء، ص٣٨٣. ٣٨٤.

متفقان في غالب الأحيان على مراتب الألقاب . نستطيع أن نقول إن عرف التعريف كان سابقاً على التعريف.

٤- من خلال ما ذكره العمري في مقدمة عرف التعريف، نجده لم يذكر فيه أى شيء من قريب أو بعيد في كونه ملخصاً أو أنه قد سبقه أى كتاب آخر في مصطلح ديوان الإنشاء، بل يظهر فيها اعتزاز العمري بنفسه وبقدرته المهنية في فن الإنشاء، وأن تأليفه للكتاب قد تم بناء على تكليف من السلطان، بأن يضع دستوراً للعاملين بالديوان فقال "فقد أمرَ من أمره طاعة، وحقه لا يؤدى بعمل ما يجب، ولكن على قدر الاستطاعة، أن أعلق دستوراً في رتب المكاتبات، من أعلاها إلى أدناها، وأجمع من بدايتها إلى منتهاها، فامتثلت أمره المطاع، وعلقته على قدر ما وصل إليه الباع .... وسميته عرف التعريف".[١]

وقد قام العمري بتقسيم هذا الكتاب إلى خمسة أقسام:

الأول: يختص بألقاب الملوك ومن يجل قدره من الأمراء.

الثاني: يختص بالوزراء ومن يجرى مجراهم.

الثالث: يختص بالقضاة والعلماء.

الرابع: يختص بالصلحاء.

---

(١) ورقة ٩٥ أ.

الخامس: في الألقاب المختصة.

والمتصفح لكتاب عرف التعريف، يشعر للوهلة الأولى أن مؤلفه قد وضعه لكي يكون منشوراً داخلياً للعاملين في الديوان، يشرح من خلاله رتب الألقاب بطريقة جافة، أقرب إلى أن يكون كتيباً تعليميا. يعيه قارئه جيداً. وينفذ ما به من تعليمات، فيما يجب أن يُكتب، وما لا يجب. وقد جاء الكتاب خالياً من أى مصدر كتب أو نقل عنه العمري. ولكن الكتاب كله من وحى الخاطر، والتجربة الشخصية في الكتابة والعمل بديوان الإنشاء.

وقبل ترك هذا الكتاب لابد من التنويه بمؤلف آخر في صدور المكاتبات عثرت عليه أيضاً مع كتاب عرف التعريف ـ لعله يكون أحد كتب العمري الأخرى في صناعة الإنشاء ـ، وهذا الكتاب [1] أو على الأصح الكتيب، عنونه ناسخه بـ " كتاب آخر في الترسل للشيخ شهاب الدين بن فضل الله "، ذكر فيه العمري سبب كتابته فقال " فقد سألني بعض من له بالكتابة إلمام المزيد وطالب المزيد، وطمع إلى المرمى

---

(١) تقع صفحات هذا الكتاب من ورقة ١٠٩ أ إلى ١١٤ أ، ضمن مخطوط " كتاب الإعلام للطرسوسي، المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٩٢٦.

البعيد، أن أضع له نبذة كافية في معرفة الأوضاع، كافلة لأسرار الكتابة أن تداع، وضابطة لآداب الخطابة أن تضاع، فاستقلت من ذلك استقالة من هو في أوقاته محصور، لا استقالة العجز والقصور، فلما أبى الإقالة بالإقالة استخرت الله وأجبت سؤاله، وذكرت لصدور المكاتبات على حكم صدورها من الاصطلاح وورودها، ورسمت أبوابها على جمود الفطنة وخمودها، ولم أبسط بالإنشاء لساناً يستخدم، فلما بال أنشأت في كل مكاتبة صدراً يكون لمريده رسماً وعلماً، ثم نوعت هذه الصدور رسماً لمن يحتاج إليها ويعتمد في تنويع المكاتبات عليها " [1].

التعريف بالمصطلح الشريف

ونأتي إلى كتابه الشهير عمدة الكتابة داخل ديوان الإنشاء منذ صنفه صاحبه حتى نهاية عصر المماليك [2]، وهو كتاب التعريف بالمصطلح الشريف. وكتاب التعريف أُلف كما هو مذكور داخل الكتاب بعد عام ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م [3]، وقصد به العمري أن يجعله دستوراً لكتابة المصطلح للعاملين بديوان الإنشاء.

---

(١) ورقة ١٠٩ أ.

(٢) أحمد دراج: صناعة الكتابة. ص١٧٢.

(٣) العمري. ص ٢٤٩.

وقبل الدخول في شرح منهجه الذي وضعه لتحقيق غرضه من تأليفه، نتعرف على عدة حقائق خاصة بالكتاب ومنشوراته في العصر الحديث. فالكتاب نشر في مصر عام ١٩١٢م عن نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية، بخط على بن عبد الله الشبلى تحت رقم ٥٧ أدب خ، ثم قام محمد حسين شمس الدين بإعادة نشره مرة أخرى، وقابله على كتاب صبح الأعشى، إلا أن هذه النشرة جاءت غير مكتملة، لوقوع محققها في بعض التحريفات والتصحيفات بناء على ما هو مذكور عند القلقشندي، والتى ظهر من خلال تحقيق كتاب " الثغر الباسم " أن العديد مما رسمه محقق التعريف بناء على صبح الأعشى، ثابت بأصله عند الثغر، مما يعنى أن هناك العديد مما نقله القلقشندي عند نسخ النساخ قد تبدل وتغير.

وقد ظهرت للكتاب عدة نسخ مخطوطة في العديد من المكتبات، مثل نسخة أخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٣٤ أدب خ، ونسخة في مكتبة ليدن تحت رقم or٣٥٢، ونسخة بأيا صوفيا تحت رقم ٣٨٢٣، ونسخة بالأسكوريال تحت رقم ١٦٣٩، ونسخة أخرى بها يعتقد أنها للتثقيف تحت رقم ١٦٤٠.

وقد حظى كتاب التعريف بتقدير القدماء والمحدثين على حد سواء، فقدروه حق قدره هو وصاحبه، فقال عنه ابن ناظر الجيش " وقد ذكر إمام الأدباء والكتاب القاضي المرحوم شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري قدس الله روحه في كتابه المسمى بالتعريف " (١).

وقال عنه القلقشندي " إنه أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب" (٢). وقال عنه السحماوي " وصنف كتابه التعريف وجعله عمدة ديوان الإنشاء من أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى أيام الأشرف شعبان بن حسين " (٣).

أما تقدير المحدثين، فيظهر من خلال عكوفهم على دراسته لا الحديث عنه فقط، فقد قام هارتمان بدراسته (٤)، وأيضاً جودفرى دى

---

(١) تثقيف، ص٨.

(٢) صبح، ج١ص٧.

(٣) الثغر الباسم، ورقة ٢٢٧ ب.

(٤) **Hartmann R. Politische Geographie des Mamlukenreiches. Zeitschrife des Deutschen Morgenländischen Gesellschaft , 70,1916,pp.477-514**

. وقد قامت هذه الدراسة على تحليل الجزء الجغرافى من التعريف وهما القسمان الخامس والسادس من الكتاب.

موميين [١]. ولكن حديثهم قد انصب في أغلبه على الجانب الجغرافى الذي يضمه الكتاب، لا على مجمله بكونه دستوراً للمكاتبات.

وقد ذكر العمري أن سبب قيامه بتأليف هذا الكتاب مطالبة البعض له بأن يؤلف لهم كتاباً في فن الإنشاء، وأنه تمنع بعض الوقت فقال عن ذلك " ثم لم أجد لى راحة من دوام مطالبته إلا بأن أضع له دستوراً وأحرق خاطرى له في التذكر لما فات، وإن كنت لا أجد إلا فتوراً، وسألته عن أربه لأعمل على مقتضى إرادته، وأدأب فيما يحصل به قدر إفادته فاقترح أن أجعله لما يحتاج إليه في ذلك الديوان المباشر، ويكون له كالمعلم الحاضر، والجليس المباصر، وقد أتيت به وفق اقتراحه، وملأته سروراً به وقت راحه، وأتيت بزيادات على ما في الأول أين تلك منها"[٢].

---

(١) انظر ص٢٩، هـ٢.

(٢) التعريف، ص١٤. لقد ذكر القلقشندي أن للعمرى العديد من الدساتير الأخرى غير التعريف كما لو كان العمري يقصد بها أن تكون منشورات منظمة للألقاب كل فترة زمنية أو ما يستجد في نظم المكاتبات. صبح، ج٦، ص١١٢.

وبناء على ذلك بالإضافة إلى ما ذكره سابقاً من أنه ذُكر بالدستور الذي عمله في عنفوان الصبا [١] فإننا نستطيع أن نجزم بكل ثقة، أن عرف التعريف كان دستوره الأول الذي طوره فيما بعد وأصبح هو ما بين أيدينا . التعريف .، ونستطيع أن نقول إن التعريف كان خلاصة تجربة العمري العملية مع خلاصة نضجه العلمى إذا ما وضعنا في الاعتبار أنه قام بتأليفه بعد قيامه بتأليف كتاب مسالك الأبصار. ولكي نتعرف على ذلك الأمر نعرض لكتاب التعريف منهجياً من خلال عرض تنظيمه الداخلى ومصادره التي استقى منها معلومات كتابه.

فالعمرى قد قسم كتابه إلى مقدمة وسبعة أقسام:

المقدمة: أوضح بها منهجه في تأليف الكتاب وغرضه الأساسى منذ أول كلمة حين بدأ الكتاب بقوله " الحمد لله الذي ميز مقادير الرتب، وقنن القوانين حتى لا يبقى سبيل لمن عتب"[٢]. ثم ذكر أنه ذُكر بالدستور الذي ألفه حينما كان يعمل بالأبواب السلطانية، ثم أن الأيدى الغاصبة قد حالت دون انتشاره، ثم يوضح أنه قد سأل سائله عن غرضه من قيامه بالتأليف، وما يرغب أن يحويه هذا الكتاب، فأوجز ذلك في

---

(١) السابق. ص١٣.

(٢) السابق.

جملة واحدة فقال " أن أجعله لما يحتاج إليه في ذلك الديوان المباشر، ويكون له كالمعلم الحاضر، والجليس المباصر "[١]، وإنه بناء على ذلك أضاف إلى دستوره الأول . عرف التعريف . زيادات " أين تلك منها"[٢]، ثم أوضح تقسيم كتابه إلى سبعة أقسام.

القسم الأول: في رتب المكاتبات، وفيه فصل العمري العمل الأساسى لعمل ديوان الإنشاء، وهو رتب المكاتبات الخارجية والداخلية لأرباب الوظائف بالدولة، وبين أنواع المكاتبات لأرباب الدولة من المطلقات المكبرة والمصغرة.

القسم الثانى: في عادات العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم والمناشير، وهو تفصيل فيما يكتب لكل صاحب رتبة أو وظيفة داخل الدولة، فالعهود عن الخلفاء للخلفاء، أو عن الخلفاء للملوك، أو عن الملوك لأولياء العهد. ثم يستتبع ذلك بشرح مفصل لما يجب أن يكتب لصاحب كل وظيفة، واسم تلك المكاتبة وقطع الورق

---

(١) السابق، ص١٤.

(٢) السابق.

المكتوب بها تلك المكاتبة من تقاليد، وتفاويض، وتواقيع، ومراسيم، ومناشير، ثم عرض لنماذج الوصايا التي تكتب لكل وظيفة.

القسم الثالث: في نسخ الأيمان، وهي الأيمان التي يحلف بها أهل الكتاب والمجوس إذا ما كانت بين الملوك وبعضهم أو للأشخاص العاديين، ثم الأيمان التي يحلف بها طوائف أهل البدع المنسوبون إلى الإسلام من الشيعة والخوارج والقدرية.

القسم الرابع: في الأمانات والدفن والهدن والمواصفات والمفاسخات، وهي ما يكتب في كتب الأمان للملوك والأشخاص العاديين، والدفن بين فريقين متخاصمين، والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك الملل الآخرى، أو بين ملكين مسلمين، ومفاسخات هذه الهدن.

القسم الخامس: في نطاق كل مملكة وما هو مضاف إليها من المدن والقلاع والرساتيق، وهو قسم جغرافى فصل فيه نطاق سلطنة المماليك مصراً وشاماً وما يستتبع كل مملكة من مدن وقرى وقلاع وحصون، ورتبة الإمارة لكل وال.

القسم السادس: في مراكز البريد والحمام وهجن الثلج والمراكب المسفرة به في البحر والمناور والمحرقات، وهو قسم وصف فيه العمري مراحل البريد ومحطاته الموجودة بالسلطنة، ومراكز الحمام الحامل للرسائل، وطرق ومراكز نقل الثلج من الشام لمصر، ومراكز المناور والمحرقات التي ترسل منها الرسائل السريعة حالة الخطر المحدق بالدولة.

القسم السابع: في أوصاف ما تدعو الحاجة إلى وصفه مما يكثر ذكره في المكاتبات، وهو قسم أدبي خالص، يحاول فيه العمري إظهار قدرته الأدبية واللغوية بجانب مهارته الإدارية، فقسمه إلى سبعة فصول عن الآلات وأنواعها من سلاح وآلات حصار وصيد وطرب، وعن الحيوانات وأنواعها، وعن الأماكن والمياه وأنواعها، والكواكب والأزمنة والأنواء.

ومن خلال استعراض هذه الأبواب نستطيع أن نحدد ملامح منهج العمري في الآتي:

١- أنه استثمر معرفته الوظيفية في تأليف كتابه اعتماداً عليها، بحيث كانت كتابته مرسلة من وحى الخاطر، مع الأخذ في الاعتبار ترتيبها ترتيباً يظهر مقدرته الإدارية العالية.
٢- أنه حاول أن يركز مقدرته المعرفية والوظيفية في ذلك الكتاب بالمزج بين معرفته الأدبية والجغرافية، ودرايته بفنون الكتابة والمصطلح في ذلك الكتاب.

مصادر الكتاب

وأما عن مصادر العمري فيمكننا أن نقسمها إلى:

١_ الخبرة الذاتية.

٢_ المشافهة.

٣_ المصادر المكتوبة.

أما عن الخبرة الذاتية التي مثلت المصدر الأول إن لم يكن الغالب على مصادر كتاب التعريف، فيمكننا أن نستقيها ونلمحها من مقدمة الكتاب حين يقول" وأحرق خاطرى له في التذكر لما فات "[1]. والمتصفح لكتاب التعريف يجد أن الكتاب كله عبارة عن نقل للخبرة

---

(١) التعريف. ص١٤.

الذاتية للمؤلف، ويظهر ذلك من خلال ماكتبه العمري بنفسه أو ما رآه من أعمال السابقين من الكتاب، فعلى سبيل المثال لما كتبه العمري قال عن مكاتبة بعض أمراء الأكراد: ولقد كتبنا إلى كل من الجملوك والغرس بالو بالسامي بالياء[١].

وأما ما رآه من المكاتبات للسابقين مثل : " وأما النائب الكافل، فقد رأيت بعض الكتاب قد كتب في تعريفه......." [٢].

أو إدلاؤه برأى في أنواع المكاتبات حتى ولو تعارضت مع السابقين عليه، مثلما عارض ماكتبه القاضى ابن لقمان في عهد الظاهر بيبرس فقال" وليس ابن لقمان بحجة، وإنما ذكرناه لئلا يتمسك به من لم يعرف حقائق الأقدار"[٣].

وأما عن المشافهة في كتابه، فقد ظهرت فيما يرويه عن أحد خارج نطاق المكاتبات، وكان جل هذا الأمر في رواياته التاريخية، حينما يستدعى السياق أن يتحدث عن ملك دولة ما، أو عن شخص له اعتبار في المراسلات، أو كان له دور شخصى فيما يرويه، فنجد المصدر الشفهى عند العمري في عدة مواضع مثل:

---

(١) السابق، ص٦٠.

(٢) السابق، ص٩٥.

(٣) السابق، ص١٢١.

عند حديثه عن ملك الهند نجده يقول: " حدثنا عبد الله دفتر خوان. والافتخار، وهما الرسولان الواصلان فيما تقدم منه " [١].

وعند حديثه عن الأذفونش ملك الأندلس: " حدثنى رسول الأذفونش بتعريف ترجمان موثوق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين الترجمان الناصرى " [٢].

ومن المصادر الشفهية الأخرى غير التاريخية التي ذكرها العمري ما ذكره عن البريد وتنظيمه، وأنه كان على يد عمه الصاحب شرف الدين أبي محمد عبد الوهاب، وكان ذلك على لسان جمال الدين عبد الله الدوادارى البريدى المعروف بابن الشديد [٣].

وأما عن المصادر المكتوبة، فلم تحظ لدى العمري إلا بكتابين هما:

١ – حسن التوسل للشهاب محمود الحلبى حينما ذكره عند اختلافه معه فيما رتبه في كتابه التقاليد[٤].

---

(١) السابق، ص٧٢.
(٢) السابق، ص٩١.
(٣) التعريف، ص٢٤٢.
(٤) السابق، ص١٢٤.

٢- الثانى كتاب تمائم الحمائم للقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عند حديثه عن مراكز الحمام[١].

تلك هى أهم مصادر العمري التي استقى منها معلومات كتابه والتى يتبين من خلالها خبرته الشخصية وتجربته الذاتية من العمل بديوان الإنشاء.

---

(١) السابق، ص٢٥٤.

ابن ناظر الجيش
(٧٢٦ _ ٧٨٦ هـ/ ١٣٢٥ _ ١٣٨٤م)

هو الشيخ تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد التميمى [١] الحلبى الشهير بابن ناظر الجيش [٢]. ولد عام ٧٢٦ هـ، اشتغل بالعلم، ثم عمل في كتابة الدست بديوان الإنشاء في حياة أبيه، وظل يعمل بديوان الإنشاء لمدة أكثر من ثلاثين عاماً [٣]، ثم ولى نظر الجيش بعد وفاة أبيه حتى مات عام ٧٨٦ هـ [٤].

(١) ذكره ابن حجر "التيمى "، الدرر، ج٢، ص١٧١

(٢) عن ترجمة حياته التي ذكرها المؤرخون وكانت عادة قصيرة وغير ضافية بالمعلومات. انظر: ابن حجر، السابق؛ إنباء الغمر، ج١، ص٢٩٤؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٧، ص٢١٠_٢١١، ت رقم ١٣٩٦؛ النجوم، ج١١، ص٣٠١؛ العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥١ هـ، ج٦، ص٢٩١.

(٣) ابن ناظر الجيش: تثقيف، ص٨.

(٤) عن سبب وفاة ابن ناظر الجيش كانت هناك اختلافات بين المؤرخين حول السبب الأساسى لموته، إلا أنهم أجمعوا أنه كان نتيجة الضرب المبرح الذي ضربه له السلطان بعد أن رد عليه رداً لم يعجبه، ومات منه بعد ثلاثة أيام. انظر: المصادر السابقة في هـ٢ أعلاه.

ونتيجة هذه الحياة الحافلة بالعمل بديوان الإنشاء، قام ابن ناظر الجيش بتأليف كتابه "تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف "، وهو ثانى دستور [١] في قوانين المصطلح والكتابة في عهد المماليك بعد كتاب التعريف، وكان بمثابة المرجع الرئيسى لعمال الديوان والمصنفين فيه خلال عصر المماليك الجراكسة بجانب كتاب التعريف كما يظهر ذلك عند كل من القلقشندي والسحماوى.

قال عنه القلقشندي [٢] " فاشتهر ذكره وعز وُجوده ووقع ضن به حتّى بَخل بإعارته من عرف كرمه وجُوده. وكان مع ذلك قد ترك مما تضمنه التعريف مقاصدَ لا غنى بالكاتب عنها".

وقال السحماوي " ثم إن القاضى محب الدين بن ناظر الجيش ثقف كتاب التعريف بأصول ومكاتبات، استقر الحال عليها وصارت عمدة في هذه الصناعة في زماننا "[٣].

ولم يعرف لابن ناظر الجيش مؤلفات أخرى غير التثقيف، على الرغم من أنه ذكر أن له كتاباً آخر قريب الصلة بالتثقيف يُعنى بنماذج

(١) أحمد دراج: السابق، ص١٦٨.

(٢) صبح، ج١ص٧

(٣) الثغر الباسم، ورقة ٢٢٧ ب.

العهود التي تصدر من الخلفاء لأولياء العهد أو الملوك المعهود إليهم بحكم البلاد، واسمه " الوافى بالمقصود في نسخ العهود " [١].

وقد حُقق كتاب التثقيف مرتين، الأولى في مصر عام ١٩٧٩ في رسالة ماجستير للأستاذ /عبد الرحمن أمين صادق من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر. والثانية عام ١٩٨٥ قام بها المستشرق البولندى أدولف فسلى، ونشر ضمن إصدارات مركز الدراسات الشرقية الفرنسي بالقاهرة اعتماداً على خمس نسخ مخطوطة تقع في مكتبات إيطاليا، وليننجراد، والأسكوريال، ولندن، وألمانيا[٢].

ولكن اتضح لي أن هناك نسخة سادسة لكتاب التثقيف، ولعلها أكمل النسخ لاشتمالها على العديد من النواقص في بقية النسخ، والتى جعلت أدولف فسلى يعتمد على القلقشندي لسد هذا النقص [٣]. وأهمية هذا الأمر لا تكمن في العثور على هذه النسخة، بل تكمن في أن هذه النسخة قد أعطيت اسم كتاب مفقود هو كتاب " إجابة السائل

---

(١) ابن ناظر الجيش: السابق، ص١٤١.

(٢) انظر مقدمة المحقق، ص١٧_٢٢.

(٣) مثل نموذج المكاتبة إلى صاحب القنيطرة، ورقة ٣٤ ب، صاحب جزيرة ابن عمر، ورقه ٤٨ ب _ ٤٩ أ، وصاحب دبركى، ورقة ٣٩ أ _ ٣٩ ب.

إلـى معرفـة الرسـائل " الموجـود بالمكتبـة الأهليـة بباريس تحـت رقـم ٤٤٣٧ Arabe غيـر معروفـة المؤلـف، والتـى اعتقـد المؤرخـون المحدثون أنها إحدى الدساتير مثلها مثل كتاب التعريف والتثقيف [١]، ولكنها في الحقيقة نسخة أخرى من التثقيف جعلتها الصدفة باسم آخر لمؤلف مجهول. ولمعرفة حقيقة ذلك الأمر واستجلائه نصف هذه المخطوطة ومحتواها مقارنة بكتاب التثقيف.

فمخطوط إجابة السائل الأصلى لم يتبق منه غير نصف صفحة العنوان والصفحة الأولى من المقدمة من منتصفها أيضاً بالطول، مع بقاء ورقتين من المقدمة تحملان رقم ١ ب، ٢ أ. ووصف ما هو بداخلهما كالآتى:

أولاً: صفحة العنوان:

السطر الأول: كتاب

السطر الثانى: إجابة السايل إلى

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ترجمة محمود فهمى حجازى، حسن محمود إسماعيل، القاهرة ١٩٩٥، ق٦، ص٢٠٧؛ أحمد دراج: السابق، ص١٦٨.

السطر الثالث: تأليف الفقير لله تعالى

السطر الرابع: شيخ ديوان الإنشا الشر

وبقية صفحة العنوان لا يوجد بها أى كتابة تدل على مؤلف ذلك الكتاب من صيغ التمليكات التي توجد دوماً على غلاف المخطوط في معظم الحالات، وكذلك لا توجد خاتمة أو اسم لناسخ هذا المخطوط يمكن من خلاله التعرف على اسم مؤلفها.

ثانياً: ورقة المقدمة المقطوع نصفها الأيمن:

السطر الخامس: وبعد فقد سألنى بعض.

السطر السادس: له أوراقاً في معرفة مصطلح.

السطر السابع: وكتابة الأسرار الشريفة.

السطر الثامن: مما عليه بالبلاد الشامية.

السطر التاسع: الديار المصرية لئلا يحتاج المتقال [كذا].

السطر العاشر: الشام المحروس إلى ديوان الإنشا.

السطر الحادى عشر: ستفهام والإيضاح والإعلام.

السطر الثانى عشر: مقالة المحصور واستقالة العجز.

السطر الثالث عشر: الإقالة فأجبت سؤاله ووضعت.

السطر الرابع عشر: وذكرت فيها ما يحتاج المبتدى.

ثم تبدأ الورقة ١ ب فيكمل مقدمته فيقول: إلى معرفة ما يكتب به إلى الأفاق، وسميته بإجابة السايل إلى معرفة الرسايل، وجعلته مثالاً لمبتدى يحتاج إليه، ويعتمد فيما يكتب عليه. ثم صفحة ٢ أ يكمل مقدمة كتابه ويشرع في طرح موضوعاته ثم يذكر في أخره: ورأيت بعض أهل مصر يكتبون العنوان في الأخوانيات وغيرها هكذا على هذه الصفة، ويكتب عوضاً عن مطالعة. ثم ذيل الصفحة بكلمة " الملوك " على اعتبار أنها بداية الصفحة التالية ٢ ب [١]، وهى بالفعل بداية الصفحة، ولكنها للمصادفة بداية فهرس كتاب التثقيف، حيث يقول: " الملوك الإسلاميين ويشتمل على ثلاثة فصول ". وهو بعينه تقسيم الباب الثانى من القسم الأول من التثقيف، ثم تتوالى الصفحات بذكر كتاب التثقيف بأكمله.

هذا من ناحية سبب تسمية هذا المخطوط باسم إجابة السائل، إلا أن هناك تطابقاً موضوعياً وأدلة لا تقبل الشك حول أن كاتب هذا الكتاب هو ابن ناظر الجيش، وأن الكتاب هو تثقيف التعريف لا إجابة السائل. وهاك أمثلة على هذا التطابق بين ما ذكر في إجابة السائل والتثقيف، وهى على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) انظر اللوحة رقم ٨، ٩.

١- إجابة السائل: مكاتبة مولانا الإمام الأعظم أمير المؤمنين وهو الآن المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان العباسى أدام الله أيامه[١].

التثقيف: مكاتبة مولانا الإمام الأعظم أمير المؤمنين وهو الآن المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان العباسى أدام الله أيامه[٢].

٢- إجابة السائل: صاحب أنطاكية: رسم المكاتبة إليه السامى بالياء والعلامة الاسم، وهذه مكاتبته حين كانت أنطاكية خارجة عن حكم الممالك المحروسة وهى غير مضافة إليها، ولكنها استقرت في جملة البلاد المحروسة بالممالك الإسلامية فبطلت هذه المكاتبة[٣].

التثقيف: صاحب أنطاكية: رسم المكاتبة إليه السامى بالياء والعلامة الاسم، وهذه مكاتبته حين كانت أنطاكية خارجة عن حكم

---

(١) ورقة ٤ ب.

(٢) ص٧.

(٣) ورقة ٣٥ ب.

الممالك المحروسة وهي غير مضافة إليها، ولكنها استقرت في جملة البلاد المحروسة بالممالك الإسلامية فبطلت هذه المكاتبة [(١)].

٣- إجابة السائل: نائب قلعة بارى كروك مستجد في سنة نيف وستين وسبعمائة، ونائب قلعة كارو مستجد في سنة أربع وستين وسبعمائة، نائب قلعة كولاك، نائب كريزاك مستجد في سنة نيف وسبعون وسبعمائة، ونائب كومى مستجد أيضاً [(٢)].

التثقيف: نائب قلعة بارى كروك مستجد في سنة نيف وستين وسبعمائة، ونائب قلعة كارو مستجد في سنة أربع وستين وسبعمائة، نائب قلعة كولاك، نائب كريزاك مستجد في سنة نيف وسبعون وسبعمائة، ونائب كومى مستجد أيضاً[(٣)].

أما من حيث إن كاتبها هو ابن ناظر الجيش كما تدل عليه بعض العبارات الدالة على شخصيته فهي:

١ ــ إجابة السائل: قلت: هذا ما كان عليه الحال في أيام الملوك السالفة، ولم تتغير المكاتبة المذكورة غير أنه الآن لم يكتب إليه ــ الخليفة العباسي ــ ولا إلى والده وجده عن مولانا السلطان خلد الله

---

(١) ص٤٧.

(٢) ورقة ٥٨ ب.

(٣) ص١٠٣ــ١٠٤.

سلطانه، لأنهم مقيمون بالديار المصرية، ولم ينفرد أحد منهم قط عن المواقف الشريفة، إلا عند توجه الركاب الشريف إلى الصيد الشريف، ولم أر أحداً من المشار إليهم في مدة مباشرتى بديوان الإنشاء الشريف وهى نحو ثلاثين سنة كوتب عن مولانا السلطان خلد الله ملكه [1].

التثقيف: هذا ما كان عليه الحال في أيام الملوك السالفة، ولم تتغير المكاتبة المذكورة غير أنه الآن لم يكتب إليه ولا إلى والده وجده عن مولانا السلطان خلد الله سلطانه، لأنهم مقيمون بالديار المصرية، ولم ينفرد أحد منهم قط عن المواقف الشريفة، إلا عند توجه الركاب الشريف إلى الصيد الشريف، ولم أر أحداً من المشار إليهم في مدة مباشرتى بديوان الإنشاء الشريف وهى نحو ثلاثين سنة كوتب عن مولانا السلطان خلد الله ملكه [2].

٢ ـ إجابة السائل: ولما كان في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ستة وسبعين وسبعمائة رُسم لى بالكتابة إلى القان محمد ببلاد أزبك [3].

التثقيف: ولما كان في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ستة وسبعين وسبعمائة رُسم لى بالكتابة إلى القان محمد ببلاد أزبك [1].

---

(١) ورقة ٥ أ.

(٢) ص٨.

(٣) ورقة ١٠ أ.

٣ـ إجابة السائل: قلت وقد جمعت مما ألفه الناس في العهود المذكورة من زمن الفاضل إلى آخر وقت حسب الطاقة في كتاب سميته " الوافى بالمقصود في نسخ العهود " فلينظر النسخ المذكورة لتكون عوناً على الدلالة على مصطلح القوم في ذلك. انتهى [٢].

التثقيف: قلت وقد جمعت مما ألفه الناس في العهود المذكورة من زمن الفاضل إلى آخر وقت حسب الطاقة في كتاب سميته " الوافى بالمقصود في نسخ العهود " فلينظر النسخ المذكورة لتكون عوناً على الدلالة على مصطلح القوم في ذلك. أنتهى [٣].

وعلى ذلك فإن كتاب إجابة السائل الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس ليس إلا نسخة أخرى من كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف لابن ناظر الجيش، وأن المتبقى من كتاب إجابة السائل صفحتان فقط لا غير.

---

(١) ص١٣.

(٢) ورقة ٨١ أ.

(٣) ص١٤١.

منهج ابن ناظر الجيش في تنظيم مادة كتابه.

بين ابن ناظر الجيش الغرض الأساسى لتأليفه هذا الدستور في تواضع يُظهر من خلاله أنه قام بتأليفه لولده أحمد كاتب الدرج فقال: " فهذه ورقات وضعتها لولدى أحمد كاتب الدرج الشريف بالأبواب الشريفة " (١). واستتبع ذلك بتوضيح ما يحتوى عليه كتابه من جديد ينشده المتخصص وذلك في قوله: " وذلك على حكم ما كان في الأيام الشريفة الشهيدية الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها، إلى آخر أيام الدولة الشريفة الناصرية الأشرفية، وهو آخر سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، ونبهت في كل مكاتبة على ما استقر عليه الحال فيها إلى آخر الدولة الأشرفية المذكورة، وهل هى مستمرة إلى الآن أم لا، وما كان في الأيام الشهيدية واستمر أو تغير، وما استجد بعد ذلك وقتاً فوقتاً (٢).

وعلى ذلك اتضح منهج ابن ناظر الجيش في أنه يقوم برصد المتغيرات التي حدثت في رتب المكاتبات منذ قام العمري بتأليف كتابه، أى منذ عهد الناصر محمد إلى أيام الأشرف شعبان.

---

(١) ص٣.
(٢) ص٣_٤.

وقد قسم ابن ناظر الجيش كتابه إلى سبعة أقسام:

القسم الأول: في مكاتبات الخلفاء والملوك والحكام وأكابر تلك البلاد من الشرق والغرب، وهذا القسم بدوره ينقسم إلى أربعة أبواب، فصل فيها أنواع المكاتبات إلى الخلفاء والملوك المسلمين من المشارقة والمغاربة، وملوك الهند واليمن والتكرور، ثم مكاتبات ملوك الكفار، ثم مكاتبات الأكابر والحكام من الأتراك والتركمان والأكراد.

القسم الثاني: في مكاتبات ولاة عهود السلطنة والنواب مصراً وشاماً، والولاة ومن يجرى مجراهم من أرباب السيوف خاصة بالممالك الإسلامية المحروسة، ويشتمل على أنواع المكاتبات لأرباب الوظائف بالدولة، وأشكال هذه المكاتبات من مطلقات مكبرة ومطلقات صغيرة، والملطفات وأوراق الطريق.

القسم الثالث: في مكاتبات العربان بالبلاد الشامية والديار المصرية والتركمان والأكراد وغيرهم بالممالك الإسلامية. وهو يشتمل على بابين في مكاتبات العربان والأكراد من عرب الحجاز والشام ومصر، والتركمان والأكراد خاصة ممن ينضوون تحت حماية السلطنة المملوكية.

القسم الرابع: في مكاتبات من جرت العادة بالكتابة إليه من الوزراء المتعممين، وقضاة القضاة، ومشايخ الصوفية وغيرهم بالممالك الإسلامية، وقد أضاف ابن ناظر الجيش إلى هذه الفئات فصلا في مكاتبات نساء الآدر الشريفة السلطانية.

القسم الخامس: في رسم العهود والتقاليد والمراسيم والتواقيع والمناشير الشريفة، وهو بدوره ينقسم إلى أربعة أبواب فصل بها هذه الأنواع من المكاتبات ورُتب المكتوب إليهم وما يستحقه كل منهم من ألقاب ودعوات مع توصيف الشكل التنظيمى للمكاتبة ومقدار الفراغات وموضع العلامة وغيرها مما يجب أن يحسنه كاتب الإنشاء.

القسم السادس: في نسخ الأيمان والأمانات والهدن والدفن والمواصفات والمفاسخات، ويشتمل على ثلاثة أبواب، باب في نسخ الأيمان للمسلمين والكفار، وباب في الأمانات والهدن والدفن، وباب في المواصفات والمفاسخات.

القسم السابع: في ذكر ألقاب جماعة من الأكابر ممن لم تجر له عادة بمكاتبة، وهو يشتمل على خمسة أبواب قصد منها ابن ناظر الجيش أن يرتب الألقاب عامة، ومقدار ما يستحقه كل صاحب رتبة

على النطاق النظرى، أو تدعو الحاجة أحياناً إلى مكاتباتهم من خلال توقيع أو منشور أو مثال، أو ما هو متعلق بالنواحى المالية المتعلقة بتوزيع الإقطاعات والمسامحات. ثم اختتمه بباب في الإخوانيات في المراسلات التي تجرى بين الناس بعضهم ببعض.

ومن خلال استعراض تقسيم ابن ناظر الجيش لكتابه نستطيع أن نحدد عدة ملامح في منهجه وهى:

١- أنه سار على درب العمري في الاهتمام برتب المكاتبات من خلال البدء بمكاتبات الملوك، سواء المسلمون منهم أو غير المسلمين، وجعله القسم الأول له.
٢- أنه أفرد لأنواع المكاتبات لأرباب الوظائف بالدولة، سواء أرباب السيوف أو الأقلام الجزء الكبير من كتابه، فقد اشتمل على القسم الثانى والرابع.
٣- أنه كان أكثر إفراداً لصور المكاتبات الخاصة بأمراء العربان والتركمان والأكراد من العمري، ولذلك فقد خصص له القسم الثالث من الكتاب.
٤- أنه كرس القسم الخامس كقسم تعليمى يختص بالإطار التنظيمى لطرق تنظيم رسم المكاتبات، وهو ما انفرد به عن

العمري الذي وضع بعض هذه الأطر، ولكن في ثنايا كتابه ولم يفرد لها باباً خاصاً كابن ناظر الجيش.

٥- أن ابن ناظر الجيش لم يحاول أن يُضَمِّن كتابه أى شيء غير نظم المكاتبات، كما فعل العمري في تضمين كتابه بوصف جغرافى لممالك السلطنة، أو نماذج للوصايا، أو ما تدعو الحاجة لوصفه وصفاً أدبياً.

تلك كانت أهم ملامح منهج ابن ناظر الجيش في كتابه تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف.

مصادر الكتاب

وأما عن مصادر ابن ناظر الجيش في كتابه فيمكن تحديدها في ثلاثة عناصر على الترتيب:

١_ الخبرة الذاتية.

٢_ المشافهة.

٣_ المصادر المكتوبة.

يظهر في كل كتاب التثقيف خبرة ابن ناظر الجيش من خلال العمل بديوان الإنشاء الذي استمر أكثر من ثلاثين عاماً، بل إنه كان حريصاً على إبراز هذه المشاركة من حيث وصف ما قام بكتابته بنفسه

من مراسلات ومكاتبات، أو ما يعلمه من أخبار قام بها غيره بديوان الإنشاء، ومن أمثلة ذلك:

١- ولما كان العشر الأخير من ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة، رسُم لى بالكتابة إلى القان محمد ببلاد أزبك ...... فكتبت إليه في عرض البغدادى [١].

٢- وعن مكاتبة صاحب هراة قال: وجدت اسمه مسطوراً ولم أطلع على ما يكتب إليه[٢].

٣- وعن ملوك كيلان: وهؤلاء أيضاً ممن لم أر لهم رسم مكاتبة ولا كتب لهم في مدة مباشرتى بديوان الإنشاء الشريف [٣].

٤- عن ملك دنقلة: ولم يكتب له شيء في المدة التي كنت مباشراً بديوان الإنشاء الشريف [٤].

٥- عن مكاتبة صاحب سيس: وكتبت أنا والجماعة إليه بهذه المكاتبة مرات عديدة [٥].

---

(١) التثقيف: ص١٣.

(٢) السابق، ص١٨.

(٣) السابق.

(٤) السابق: ص٢٦.

(٥) السابق: ص٣٢.

أما عن المشافهة، فقد تمثلت في ما أخبره به البعض من أخبار لا تتعلق بالكتابة، أو ما كان متعلقاً بها وأخبره به بعض العاملين بالديوان ممن كان يطلق عليهم " الموالى الجماعة "، ومن أمثلة ذلك:

١- عن صاحب حصن كيفا: وأخبرنى المقر المرحوم السيفى منجك اليوسفى كافل الممالك الإسلامية المحروسة كـا، سقى الله عهده أن مولانا السلطان الشهيد الناصر محمد بن قلاوون طاب ثراه كان يعظم سلفه [١].

٢- وعن مكاتبة نواب السلطنة، وخاصة نواب الإسكندرية والوجه القبلى والبحرى، فقال: هكذا سمعته من لفظ بعض الموالى الجماعة كتاب الإنشاء الشريف [٢].

أما عن المصادر المكتوبة، فهذه المصادر مثلت بجانب الخبرة الذاتية التي اكتسبها ابن ناظر الجيش من عمله، الاعتماد الأكبر الذي نقل عنه وأضاف إليه في كتابه. فابن ناظر الجيش على الرغم من إنه

---

(١) التثقيف: ص١٧.

(٢) السابق: ص٩٦.

كان يبغى كما يظهر من عنوان كتابه أن يكون مكملاً أو ذيلاً للتعريف، فإنه قد اعتمد على مصادر أخرى ظهرت في خبرته الذاتية وما نقل إليه من مكاتبات عن طريق زملاء المهنة، بالإضافة إلى أنه اعتمد بصفة أساسية على دستورين. مفقودين بالنسبة لنا. بجانب دستور العمري قد كتبهما كل من القاضى ناصر الدين النشائى [١]، وناصر الدين خضر [٢]. ويبدو أن هذين الدستورين كانا من نوعية كتب الصفدى وابن حجة، إلا أنهما كانا يمثلان نبعاً لأهم التغيرات التي حدثت بمكاتبات ديوان الإنشاء. بل إن ابن ناظر الجيش قد وضعهما فيما يظهر من كثرة استعماله لهما [٣] كصنوين لكتاب العمري.

---

(١) هو محمد بن عبد القاهر بن أبي بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد المصرى الرئيس ناصر الدين النشائى، ولد عام ٧١٨ هـ تولى الكتابة والتوقيع وحظى عند يلبغا السالمي، وكان ينوب عن كاتب السر، مات عام ٧٧٠ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٤، ص١٤٠_١٤١، ت رقم ٣٩٢٥.

(٢) هو خضر بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن على المعروف بابن الزين خضر، ولد عام ٧١٠ هـ ولى كتابة سر حلب ومات عام ٧٥٦ هـ. السابق، ج٢، ص١٧٣، ت رقم ١٦٤٧.

(٣) عن نماذج لأهم إحالات ابن ناظر الجيش لهذين الكتابين انظر: التثقيف، ص١١، ١٩، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٤٨، ٦٤.

شهاب الدين القلقشندي

(٧٥٦ _ ٨٢١ هـ| ١٣٥٥ _ ١٤١٨م)

هو أبو العباس أحمد بن على القلقشندي المصرى، المتوفى عام ٨٢١ هـ، صاحب موسوعة " صبح الأعشى في صناعة الإنشا ". والقلقشندى على عظم هذه الموسوعة، وتقدير المعاصرين لها واللاحقين، إلا إنه لم يحظ بترجمة وافية لمراحل حياته [١]، بل إن كل من أرخ له لم يذكر غير اسمه ولقبه ومحاسن أخلاقه وبعض مؤلفاته فقط [٢]. ولكن من خلال مؤلفاته وما ذكره بها في بعض الأحيان من أحداث أحداث تتعلق به، أمكن معرفة تاريخ ميلاده عام ٧٥٦ هـ، وتاريخ عمله بديوان الإنشاء عام ٧٩١ هـ| ١٣٨٩م، وتعليمه وشيوخه وعلاقته بأرباب الحكم.

فالقلقشندى تلقى تعليماً دينياً راقياً، ومن شيوخه حصل على إجازة التدريس، فاستقر مدرساً للحديث والفقه، ثم عمل بديوان الإنشاء كموقع، ويبدو أنه قد ظل بهذه الوظيفة ولم يتدرج إلى أعلى مراتب

---

(١) عبد اللطيف حمزة: القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، القاهرة ١٩٦٩، ص٣٣_٣٤.

(٢) المقريزى: شذرات العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، بيروت ١٩٩٢ ج ٢ص ؛ السخاوى: السابق، ج٢ص٨.

الديوان كما تؤهله معارفه وثقافته، ولذلك فإن من خلال ثنايا كتابه يظهر تألمه لذلك[١].

وقد كان القلقشندي من الشخصيات الموسوعية، ولذلك فقد وضع العديد من المؤلفات المختلفة الأغراض، منها:

١. الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع.
٢. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان.
٣. نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب.
٤. مآثر الإنافة في رسوم الخلافة.
٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ومختصره ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر.

وهذا الأخير هو ما تُعنى به هذه الدراسة لكونه الكتاب الأشهر، والذى يعد بحق موسوعة أدبية كبرى. ولأهمية هذا الكتاب الموسوعة فقد حظى باهتمام الباحثين والدارسين منذ القرن التاسع عشر الميلادى، وحظي باهتمام علم من أعلام الثقافة المصرية أحمد زكى باشا، فأوكل إلى قسم المحققين بدار الكتب أن يقوم بنشر الكتاب، فنشر على فترات من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٢٠. ومن بعد نشره

(١) صبح، ج١ص١٣٧.

وقبله، صدرت العديد من الدراسات والترجمات إلى لغات أجنبية قلما يحظى بها كتاب، ومن أهم هذه الدراسات:

١- دراسة وستنفلد [١] الجغرافية عن الديار المصرية عصر سلاطين المماليك.

٢- دراسة بيوركمان [٢] عن ديوان الدولة في مصر الإسلامية الذي خصص به جُل الكتاب عن مصادر القلقشندي المتنوعة، وتلخيص لما تحتويه المقالات العشر للكتاب.

٣- ودراسة لويس سيكو [٣] عن نظم الدولة الفاطمية وترجم من خلالها الجزء الخاص بها من الجزء الثالث من صبح الأعشى.

وهناك العديد من الدراسات العربية الحديثة، مثل الندوة التي عقدت بمناسبة حلول ذكرى القلقشندي قام بها عدة أساتذة في

---

(١) Wüstenfeld , Calcaschandi's Geographie und Verwaltung von Agypten, aus dem Arabischen,1879.

(٢) انظر ص٢٥، هـ٤.

(٣) Luis Seco de Lucena Subh al – a ša fi Kitabat al – inŝa, indices por Ma Milagros Carcel Orti , Valencia 1975.

مجالات التاريخ والجغرافيا والأدب والآثار[1]. بجانب دراسات اتخذت من كتاب صبح الأعشى مصدراً رئيسياً، مثل كتاب " الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار " للدكتور حسن الباشا، وكتاب " التعريف بمصطلحات صبح الأعشى "لمحمد قنديل البقلى. كل هذه الدراسات قد استقت معلوماتها من كتاب صبح الأعشى فكان معينا ذاخراً بكل صنوف المعرفة سواء منها التاريخى أو الجغرافى أو الأدبى.

وبناء على ذلك فسوف تقتصر الدراسة التحليلية للقلقشندى على كون كتابه دستوراً من دساتير ديوان الإنشاء، وإخضاعه لمعايير هذه الدراسة التي تنحصر في إظهار ما أضافه القلقشندي إلى هذه النوعية من المؤلفات، وليس النظر إليه كموسوعة أدبية تحوى عديداً من المعارف والعلوم الأدبية.

منهج القلقشندي في تنظيم موضوعاته.

اتخذ القلقشندي منهجاً جديداً في كتابة دساتير ديوان الإنشاء، أدت به في النهاية إلى إخراج هذا الدستور في صورته الموسوعية، وهذا المنهج جمع كل ما تحتاجه صناعة الإنشاء من قدرة أدبية، إلى الشروط

(١) أبو العباس القلقشندي وكتابه "صبح الأعشى، القاهرة ١٩٧٣.

الواجب توافرها بالكاتب وكاتم السر، وقوانين المصطلح. ولقد أوضح ذلك المنهج في مقدمة كتابه حين قال " والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف، وتباينت مواردهم في الجمع والتأليف، ففرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها، وأخرى جنحت إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها، وطائفة اهتمت بتدوين الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها وتكون أنموذجا لمن بعدهم يسلك سبيلها من أراد أن ينسج على منوالها، ولم يكن فيها تصنيف جامع لمقاصدها ولا تأليف كافل بمصادرها الجليلة ومواردها، بل أكثر الكتب المصنفة في بابها والتأليف الدائرة بين أربابها لا يخرج عن علم البلاغة المرجوع فيها إليه " [١].

وبناء على ذلك وضع القلقشندي كتابه، وسار منهجه فيه على تتبع كل ما يخص صنعة الإنشاء من بلاغة ومصطلح وتدريب نظرى على أساليب الكتابة. وعلى الرغم من أنه قد توسع فيه إلا أن نظرته إليه لم تتعد كونه دستوراً من دساتير الصناعة، ولعل ذلك يتضح في ما ذكره بضوء الصبح المسفر عنه حين قال " فلما كان صبح الأعشى في كتابة الإنشا قد اتسع له مجال الإطناب في الكلام فجال، وبسط لسانه في

(١) صبح، ج١ص٧.

فنون الأدب فقال وطال، وانفسح في مجال الصناعة أمله فتنقل في جنباتها تنقل الهائم، وأوسع في حومتها المطار فحلق على مقاصدها تحليق الحائم. واشتمل في كتابة الدول في كل زمن على ما ينقطع دونه المطامع، وأحاط من مبانى دساتير الصناعة ما لم تحط به دائرة دستور"[1].

وعلى ذلك المنهج، وبناء على هذه النظرة لكتابه رتب القلقشندي موضوعاته فقسمه إلى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة:

المقدمة: في مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء. وهى مقسمة إلى خمسة أبواب، تتناول ذكر فضل الكتابة، ثم مدلول الكتابة لغة واصطلاحاً، وبيان معنى الإنشاء وتفضيله على سائر أنواع الكتابة، ثم في صفات الكاتب الواجب توافرها فيه، ثم التعريف بديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام ثم تفرقه بعد ذلك في الممالك، ثم في بيان قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته وما يتصرف فيه بقلمه، وأصحاب الوظائف بالديوان من كتاب وغيرهم.

---

(١) السابق: ج١ص١.

المقالة الأولى: فيما يحتاج إليه الكاتب وتدعو إليه ضرورته. وهى مقسمة إلى بابين، الأول فيما يحتاج إليه الكاتب من فنون يجب أن يكون متسلحاً بها في صناعته مثل اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبلاغة، وحفظ كتاب الله، وحفظ الأحاديث والأشعار والأمثال وأيام العرب والتاريخ. والثانى، فيما يحتاج إليه من صناعة الخط وآلاته، وتاريخ الخط وأول من وضعه، وأشكال الحروف والفروق بينها، وكيفية مسك الأقلام وأدوات الكتابة.

المقالة الثانية: فيما يحتاج إليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها ورياحها. وهى المقالة الجغرافية وبدورها تنقسم إلى ثلاثة أبواب. الأول، في شكل الأرض والبحار والمحيطات وجهاتها وأسماء الرياح، وأقاليم الأرض السبعة. الثانى، في وصف المملكة المصرية مصراً وشاماً جغرافياً، وأسماء البلاد بها وتوزيع أقاليمها، وما يجاورها من أقاليم لا تتبع سلطنة المماليك ولكنها تشترك معها في الحدود. الثالث، عن ترتيب مملكة الديار المصرية والشامية من حيث شعائر الخلافة والسلطنة، وترتيب وظائف الأمراء والأجناد ووظائف سائر الدولة من وظائف دينية وديوانية وغيرها في مصر والشام.

المقالة الثالثة: في أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرهما. وقد قسم القلقشندي هذه الأمور التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً برتب الألقاب، وترتيب الوظائف إلى خمسة أبواب: الأول، في الأسماء والكُنى والألقاب منذ بداية العصر الإسلامي إلى عصر المماليك. الثانى، في فواتح وخواتم المكاتبات واللواحق أى ما يتم فعله في هذه المكاتبات من تتريب ومراجعة وختم. الثالث، في بيان ما يكتبه كاتب السر على الأوراق من قصص وغيرها، والقصص التي تأتى من الدواوين الأخرى مثل ديوان الوزارة، وديوان الخاص، وديوان الجيش، وما يكتب على كل منها وما لا يكتب. الرابع، في بيان المستندات التي يترتب عليها ما يكتب من ديوان الإنشاء مثل كاتب هذه المكاتبات، وتخليد الأوامر الصادرة بكتابة هذه المكاتبات بالديوان لكى يتم مراجعتها إذا ما اقتضى الأمر ذلك. الخامس، في مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ومقادير البياض في الأوراق.

المقالة الرابعة: في المكاتبات السلطانية والإخوانيات. وهو مقسم إلى أربعة أبواب: الأول فيما يجب أن يراعيه الكاتب من أصول في بدايات المكاتبات وأجوبتها. الثانى، في مصطلح الكتب السلطانية الدائرة بين كتاب الإسلام منذ عصر النبوة حتى عصر القلقشندي وهى خاصة بمكاتبات الخلفاء إلى ولاة العهد بالخلافة، والخلفاء إلى

الملوك، والملوك إلى الخلفاء وولاة العهد، والملوك إلى ولاة العهد بالسلطنة والنواب. الثالث، في المكاتبات الإخوانية منذ القدم حتى عصره. الرابع، في مقاصد المكاتبات من تهان وتعازٍ وبشارات وشفاعات وغيرها من المكاتبات غير الرسمية.

المقالة الخامسة: في الولايات، وهذه المقالة من أهم مقالات الكتاب، إذ تُعنى في الأساس بأنواع المكاتبات وهى على ستة أبواب: الأول، في طبقات الولايات وما يقع به التفاوت في مراتبها. الثانى، في البيعات التي تكتب للخلفاء والملوك حين ولايتهم وما يجب على الكاتب مراعاته حين كتابتها. الثالث، في العهود في معناها وأنواع العهود مثل عهد الخليفة لمن بعده أو سلطان لولى عهده وهكذا. الرابع، فيما يصدر عن الخلفاء والملوك لأرباب الوظائف حين ولايتهم لهذه الوظائف. الخامس، فيما يكتب عن سلاطين المماليك حين ولاية أرباب الوظائف من تقاليد، وتفاويض، ومراسيم، كبار وصغار، وتواقيع.السادس، فيما يكتبه نواب السلطنة بالممالك الشامية في عصر المماليك إلى أصحاب الوظائف بها.

المقالة السادسة: في قضايا جرت العادة بكتابتها من ديوان الإنشاء في أمور مختلفة، وهى على خمسة أبواب: الأول، في الوصايا،

الثانى في المسامحات والإطلاقات، الثالث في الطرخانيات، الرابع، في تحويل السنين. الخامس، في كتابة التذاكر التي تكتب من ديوان الإنشاء على أيدى المتوجهين من السلطان لقضاء المهمات.

المقالة السابعة: في الإقطاعات، وقسمها إلى بابين: الأول، في بيان معنى الإقطاع ونوعه كإقطاع تمليك، وإقطاع استغلال. الثانى، فيما كان يكتب به قديماً وفى عصره.

المقالة الثامنة: في الأيمان التي يُحلف بها للخلفاء والملوك، ونسخ الأيمان التي يحلف بها المسلمون من أهل السنة وأهل البدع، والنصارى واليهود والمجوس.

المقالة التاسعة: في عقد الصلح وما يجرى مجراه، وقسمها إلى ستة أبواب: الأول، في الأمانات. الثانى، في الدفن. الثالث، في عقد الذمة. الرابع، في الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك الكفر. الخامس، في عقود الصلح الواقعة بين ملوك الإسلام. السادس، في ذكر جملة من الأوصاف التي يُحتاج لذكرها في المكاتبات والولايات من أوصاف الأفلاك، والكواكب، والحيوانات، والسلاح، وغيرها من الأمور.

المقالة العاشرة: في فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافسون في عملها ليس لها تعلق بكتابة ديوان الإنشاء مثل المقامات والرسائل المختلفة المقاصد، وما يكتب عن العلماء في تقريظ الكتب وغيرها.

الخاتمة: في ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء لا تعلق لها بالكتابة، وهى الأمور الخاصة بالبريد، والحمام الرسائلى، وهجن الثلج الآتية من بلاد الشام، والمناور والمحرقات من بلاد الشام إلى مصر.

ويتضح مما سبق عدة ملامح لمنهج القلقشندي طبقاً لترتيب موضوعاته:_

١ - التجديد الذي أدخله القلقشندي لمعالجة كتب الدساتير بحيث شمل كل مناحى أعمال الديوان.
٢ - أن القلقشندي في سبيله إلى ذلك، تتبع المنهج التأريخى لجميع موضوعاته، بحيث بدأها كلها بما كان سالفاً حتى يصل إلى ما هو أصبح عليه في زمنه، مما يعد تجديداً للمنهج المتبع في معالجة هذا الموضوع.
٣- تتبعه لخطى السابقين من مؤلفى الدساتيز في معالجة الدور الرئيسى لمهام الديوان، وهو رتب الألقاب والمصطلحات،

بحيث عمل على تأصيلها نظرياً بذكر اللقب ودرجاته منفردا، بجانب التأصيل العملى لها بذكر الرسائل والمكاتبات على اختلاف أنواعها وأزمان كتابتها.

٤ - أن القلقشندي عمل على وصف مسهب لما عند العمري وابن ناظر الجيش، بحيث اشتمل كتابه على الكتابين موفقاً فيما بينهما، مقارناً بين اختلافاتهما بما جد في عهد كل منهما.

مصادر كتاب صبح الأعشى.

حينما يُنظر في مصادر كتاب صبح الأعشى، لا يمكن النظر إليها على اعتبارها مصادر لكتاب عادى، ولكن مصادر لموسوعة علمية لا يتسع المقام لحصرها، ولكن حصر أنواعها لكل فن، ولما كانت دراسة مصادر صبح الأعشى قد أغرت أحد كبار المستشرقين هو بيوركمان فأفرد جزءاً من كتابه [١] لدراسة أنواع هذه المصادر. فلا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى المصادر التي استقى منها القلقشندي مادة كتابه مع التمثيل النسبى لها بما يخص كل مورد. وهذه المصادر هى:

١ _ المصادر المكتوبة.

٢ _ الخبرة الذاتية.

---

(١) Björkman , op.cit,p.73-86.

فقد استقى القلقشندي جل معلوماته من المصادر المكتوبة السابقة عليه من كل فن عالجه كتابه، في الأدب، والجغرافيا، والتاريخ، والخطوط، وأفرع كل فن، على سبيل المثال الشعر والبلاغة والترسل في الأدب، وفى الجغرافيا معاجم البلدان، والجغرافيا التاريخية، وهكذا في كل فن متتبعاً التاريخ الزمنى لكل فترة يعالجها.

ومن الجدير بالذكر أن القلقشندي اعتمد على كل ما وقعت عليه يداه من مصادر مكتوبة خاصة بصناعة الكتابة بطريقة مباشرة، بل إن ما قدمه القلقشندي لهذه الكتب كان أكثر مما قدمته إليه، فقد حافظ على العديد من المصادر المفقودة في هذا المجال، مثل كتاب أبى فضل الصورى " التذكرة ".

فمن المصادر التي اعتمد عليها فيما يسبق عصره وكانت معيناً له في التأصيل لصناعة الإنشاء: أدب الكاتب لابن قتيبة، أدب الكُتّاب للصولى، الصناعتين لأبى هلال العسكرى، رسوم دار الخلافة لأبى هلال الصابئ، مواد البيان لعلى بن خلف، ومعالم الكتابة لابن شيث، رسائل القاضى الفاضل، والتذكرة لأبى الفضل الصورى.

أما فيما يخص عصر المماليك، فاعتمد على حسن التوسل للشهاب الحلبي، وعرف التعريف، والتعريف بالمصطلح الشريف، والتذكرة لابن فضل الله العمري، قانون الترسل للصفدى، وتثقيف التعريف بالمصطلح الشريف لابن ناظر الجيش، التذكرة لابن المكرم، ودستور للعلاء العمري لا يعرف اسمه. فكل هذه المصادر أخذ منها القلقشندي بقدر كبير حتى إنه لو تمت محاولة إعادة كتابة المفقود منها بناء على ما ذكره لتم ذلك بنجاح كبير.

أما عن خبرة القلقشندي الذاتية فقد تمثلت في كم الوثائق التي اعتمد عليها، والتي يعد من المستحيل أن يعثر عليها أحد، إلا إذا كان عاملاً بديوان الإنشاء، ويملك الاطلاع عليها بسهولة ويسر، ولم ينس أن يطعم كتابه بالعديد من المكاتبات التي كتبها بنفسه في مناسبات عدة، مما يؤدى إلى أن تكون خبرته الذاتية ذات نفعين، هما أنه حفظ في كتابه العديد من المكاتبات والرسائل المفقودة بالطبع، وثانياً أنه تحدث عن ما يريد الحديث عنه بدقة كبيرة بناء على ما توفره هذه الوثائق من معلومات موثقة لا لبس فيها أو خطأ.

السحماوي وكتابه الثغر الباسم

نأتي إلى صاحب الكتاب الذي تم تحقيقه ونشره[١]، لمحاولة معرفة منهجه في الكتابة، وتسليط الضوء على الكاتب والكتاب، لكى نستطيع رسم صورة متكاملة عن كتب الدساتير ومؤلفيها في عصر المماليك، على اعتبار أن كتاب الثغر الباسم المعروف لدينا باسم " المقصد الرفيع " هو آخر ما وصل إلينا من الدساتير المعنية بديوان الإنشاء في عصر المماليك [٢].

مؤلف الكتاب

درج العديد من المؤرخين المحدثين على الاستعانة بمخطوط " المقصد الرفيع المنشا الهادى _ الحاوى _ لديوان الإنشا " لمؤلفه عبيد الله بن عبد الله بن لطف الله بن محمد بن بهاء الدين العمري الخالدى. وهذا المخطوط توجد منه نسخة وحيدة في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم Arabe٤٤٣٩، منه صورة بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥، وأخذت منه دار الكتب المصرية صورة ميكروفيلم

---

(١) شمس الدين السحماوي: الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، تحقيق أشرف محمد أنس. دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٢) أحمد دراج: السابق، ص١١٢.

تحت رقم ٢١٠٣١ ز. ويقع هذا المخطوط في ٣٣٠ لوحة [٦٦٠ صفحة]، عدد الأسطر في كل صفحة ٢٣ سطر، ومقياس الصفحة ٢٨٠× ١٨٥×٧٠ مم.

ولم تكن هناك معلومات كافية عن الكاتب والكتاب، إلا محاولات اجتهادية للمحدثين بناء على قراءتهم للكتاب، التي تركزت في أن كاتب الكتاب أحد العاملين بديوان الإنشاء[1] عهد الأشرف برسباى ٨٢٥ _٨٤١ هـ/ ١٤٢٢ _ ١٤٣٧ م، وإن كان د/ أحمد دراج قد أشار إلى أن الكتاب قد أُلف في عهد الأشرف إينال ٨٥٧ _٨٦٥ هـ/ ١٤٥٣ _ ١٤٦٠م[2] ـ بناء على ملاحظة وحيدة في الكتاب تُظهر ذلك [3] ـ، والبعض أرجع تاريخ وفاة الكاتب إلى عام

(١) محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر، القاهرة ١٩٤٩، ص٢٥؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٦ص٤٥؛ أحمد دراج: السابق، ص١١٢؛ العمري: مسالك _ أيمن فؤاد سيد _ مقدمة المحقق، ص٢٧ م؛ عفاف صبرة: ديوان الإنشاء، ص٩. **Ahmad Darrag , L'Egypte sous le règne de Barsbay,DAMAS,1961.P. VII**

(٢) السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر فيما بعد.

٩٣٧ هـ [١]. ولكن على مستوى الكتب المتخصصة في التأريخ للكتب ومؤلفيها ككتاب كشف الظنون لحاجى خليفة فلم تكن هناك إلا إشارة واحدة ذكرها حاجى خليفة عن الكتاب قال فيها " المقصد الرفيع " ليس إلا [٢].

وقد قام المؤرخ الفرنسي جوزيف رينو بكتابة ملاحظاته على عدة أوراق بيضاء من أصل الكتاب . لعلها كانت معدة من قِبل المؤلف لكتابة المقدمة . أوضح فيها بناء على ما ذُكر في الورقة " ٢ ب " - الربع الأول منها . أن مؤلف هذا المخطوط هو أحد أفراد الأسرة العمرية الشهيرة التي عمل أفرادها بديوان الإنشاء في عصر المماليك البحرى والجركسى [٣].

وعلى جانب آخر فقد أطلق العديد من الباحثين، وبخاصة الأوروبيون منهم، على الكتاب اسم "ديوان الإنشاء"[٤]، ولعل ذلك

---

(١) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك؛ محمد الحويرى: أسوان في العصور الوسطى؛ البيومى إسماعيل الشربينى: النظم المالية في عصر المماليك.

(٢) كشف الظنون، ج٢، ص١٨٠٦.

(٣) انظر اللوحة رقم ٣.

(٤) Gaudefroy-Demombynes, op.cit.pp.V-VI , Sauvaget.J, La Poste aux Chevaux dans l' Empire dès Mamelouks , paris 1941. P.3.

نتيجة ما كتبه عنه المؤرخ الفرنسى دى سلان في المجلد الخاص . كتالوج . بالمخطوطات الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس.

ولقد كانت هذه الاجتهادات تقرب حيناً إلى الحقيقة، ولكنها في مجملها غير صحيحة، وتؤدى في النهاية إلى أن اسم الكتاب واسم المؤلف غير صحيحين بالمرة.

فأما الشيء الوحيد الذي اقترب من الحقيقة فهو أن المؤلف أحد العاملين بديوان الإنشاء، وأنه ألفه في عهد الأشرف برسباى، وذلك لعدة إشارات ذُكرت بداخل الكتاب منها أنه يشير دوماً إلى عهد برسباى بقوله " خلد الله ملكه"[1]، وهو دعاء لا يقال إلا لمن كان حياً من الملوك والسلاطين. ومنها أنه يشير إلى أقصى تاريخ وصل إليه عند كتابته هذا الكتاب هو عام ٨٤٠ هـ | ١٤٣٦م [2].

وأما عن ملاحظة د/ أحمد دراج من أن الكتاب كتب في عهد الأشرف إينال، فكان بناء على ما ذكر بالكتاب من أسماء لكتاب

---

(١) انظر فيما بعد. ورقة ١٥٤ ب.

(٢) انظر ورقة ١٩ أ، ٢٦٠ أ

السر حتى عهد هذا السلطان، فهى تحمل نصف الحقيقة. فكونه ذكر هذه الأسماء فهذا ليس دليلاً على أن الكتاب كله أُلف عهد إينال وذلك لأن هذه القائمة التي يعينها د | دراج تقع في الورقة [١٦ ب]، وهذه الصفحة دونما صفحات الكتاب الآخرى عدد سطورها خمسة وعشرون سطراً، وكل صفحات الكتاب تبلغ سطورها ثلاثة وعشرين سطراً. ولما كان مؤلف الكتاب ـ كما سيظهر فيما بعد . قد عاش حتى عهد الأشرف إينال فإنه بعد فراغه من تأليف كتابه بسنوات أضاف إلى قائمته أسماء كتاب السر اللاحقين على تأليفه له.

وأما كونه توفى أوائل القرن العاشر الهجرى وعلى وجه التحديد عام ٩٣٧ هـ | ١٥٣٠ م، فقد أُعتمد هذا التاريخ بناء على ما هو موجود بغلاف المخطوط بدون التمعن في قراءة ما قبله، فهذه الكتابة عبارة عن صيغة ملكية للكتاب جاء فيها: " ملكه من فضل الله تعالى وجزيل عطايه محمد بن على بن أحمد بن رجب الطالبى بلدأ الشافعى مذهباً الموقت الشهير بالأبار لطف الله في شهور سنة ٩٣٧ من على أيوب الشيخ بالكتبيين كان "[١].

(١) انظر اللوحة رقم ١.

هـذا مـن حيـث تـاريخ وفاتـه، أمـا عـن اسـمه الـذي اعتمـده المحـدثون، وأشاروا إليه به وهو "الخالدى " وبقية اسمه كما هو على الصفحة [٢ ب] من المخطوط، فهو أيضاً صيغة ملكية لم تقرأ جيداً على الرغم من وضوحها وهى: " تملكه أضعف عباد الله تعالى عبيد الله بن عبد الله بن لطف الله ابن محمد بن بهاء الدين العمري الخالدى الشهير ببهاء الدين زاده عفى عنهم" [١]. وبهاء الدين زاده هذا أحد العلماء الفقهاء في العصر العثمانى توفى ببلدة قيصرية عام ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥م [٢].

أما عنوان الكتاب " المقصد الرفيع " فيبدو أنه من وضع أحد قراء الكتاب، غُم عليه معرفة عنوانه، فقام بتوليف هذا العنوان من موضوع الكتاب، بطريقة يغلب عليها السجع، ويظهر ذلك من الصفحة الثانية أ، ب حين تراوح العنوان بين " المقصد الرفيع المنشا الهادى لصناعة الإنشا " و" المقصد الرفيع المنشا الحاوى إلى صناعة الإنشا " [٣]. وهو العنوان المثبت على غلاف المخطوط.

---

(١) انظر اللوحة رقم ٣.

(٢) نجم الدين بن غزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص٢٩_٣٠.

(٣) انظر اللوحة رقم ٢.

إذن من مؤلف الكتاب وما عنوانه؟

لقد قمت بمحاولة معرفة شخصية الكاتب، أو اسم الكتاب الأصلى من خلال طريقين، الأول بالبحث بكتب التراجم، والثانى بالبحث بفهارس المخطوطات بالمكتبات المختلفة.

أما الطريق الأول: فبتتبع تراجم العديد ممن عملوا بديوان الإنشاء، أو قاموا بتصنيف كتب عنه خلال تلك الفترة أى فترة الأشرف برسباى وما بعدها حتى عهد الأشرف إينال - بناء على قائمة أسماء كتاب السر الموجودة بالمخطوط، وبعض الملاحظات بداخله التي تتمثل في:

١- أن الكتاب ينبئ عن أن مصنفه من العاملين بالديوان العالمين بدقائق أموره الوظيفية.

٢- أنه من خلال إطرائه القول في بعض أعلام ديوان الإنشاء، ووصف كريم سجاياهم، يعطى انطباعاً بأن الكاتب لابد أن يكون قريباً منهم، وخاصة أنه كتب في هامش إحدى الصفحات ملحوظة تؤيد ذلك، فقال عن الشيخ ناصر الدين الفاقوسى (ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م): " رأيت في منامى في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة رجلاً عليه سمت الخير قال لى: هذا الرجل . ويشير بيده إلى القاضى ناصر

الدين المشار إليه. يسطر في كل يوم في صحيفته عشر حسنات"[١].

إلا أن كتب التراجم لم تعط إشارة مؤكدة لاسم الكتاب المعروف به . المقصد الرفيع .، أو لمؤلف قام بتأليف كتاب مشابه له وهو مفقود بدوره في تلك الفترة غير كتاب لخليل ابن شاهين الظاهرى (ت ٨٧٢ هـ| ١٤٦٧م) اسمه " المنيف في الإنشاء الشريف " ذكره كل من ابن تغرى بردى والسخاوى[٢]. ولكن تم استبعاد كون خليل بن شاهين كمؤلف للكتاب للأسباب التالية:

١- أن فترة نضوج خليل بن شاهين المولود عام ٨١٣ هـ| ١٤١٠م في التأليف الديواني، تتعارض مع ما ظهر من خلال الكتاب بتمتع مؤلفه بالعمل داخل الديوان، وهو ما لم يتيسر لخليل بن شاهين.

٢- أن الفترة التي أُلف فيها الكتاب، كان خليل بن شاهين يتولى الوزارة للأشرف برسباى، ولم يورد ذلك في هذا الكتاب قط.

---

(١) انظر ورقة ١١٦ ب.

(٢) ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٢٥٨_٢٦١، ت رقم ١٠٠٣؛ السخاوى:الضوء. ج٣، ص١٩٥_١٩٧، ت رقم ٧٤٨.

٣- أن أسلوب خليل بن شاهين في تأليف كتابه زبدة كشف الممالك، يكشف عن تباه ونرجسية في كلامه عن نفسه، ومحاولته إبراز الشعر في كتاباته، وهو ما لم يظهر في هذا الكتاب.

٤- أنه بمقارنة ما كتبه خليل بن شاهين في " كشف الممالك "[1] عن ديوان الإنشاء بما جاء بالكتاب، لم أجد أى تقارب بين الاثنين، بل إنه لم يضف على ما ذكره في الزبدة الشيء الكثير.

وعلى ذلك فقد تم استبعاد خليل بن شاهين كمؤلف لكتاب المقصد الرفيع.

والطريق الثانى: بالبحث في فهارس المكتبات الحاوية للمخطوطات العربية لم أجد . على حد علمي - أى مؤلفات خاصة بديوان الإنشاء غير ما هو معروف، إلا كتاباً يقع في فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية يسمى " العرف الناسم من الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم " لمحمد بن حسن بن على بن حسام بن محمود

---

(١) عثر الدكتور محمد عيسى صالحية على نسخة من كتاب كشف الممالك يعكف حالياً على تحقيقها، ولقد قام مشكوراً بإعارتى الجزء الخاص بديوان الإنشاء الموجود بالكتاب.

السحماوي الشافعي. ضمن المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية [١] تحت رقم ٣١٥٨ أ ميكروفيلم. وقد ذُكر في تعريف هذا الكتاب " اختصره مؤلفه من كتابه المسمى: الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، ورتبه على ثمانية أبواب، وفرغ من تأليفه في شهر شعبان سنة ٨٤٦ هـ/ ١٤٤٣م"[٢].

وبالرجوع إلى حاجى خليفة وجد أنه ذكر اسم كتاب الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، ولكن اسم المؤلف مختلف فأطلق عليه اسم " محمد بن الحسن بن على السخاوى "، وقال عنه: قسم على ثمانية أقسام وفرغ في شعبان سنة ٨٤٦ هـ، ثم لخصه وسماه العرف الباسم، وهذا الأول والأقسام المذكورة للعرف دون الثغر " [٣]. وبقراءة نسخة العرف الناسم وجد اسم مؤلف الكتاب كما هو مثبت في دار الكتب في آخر ورقة من المخطوط " محمد بن حسن بن على بن حسام بن أيوب بن محمود السحماوي الشافعى ". ويبدو أن رسم اسم

---

(١) فؤاد سيد: فهرست المخطوطات، نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ _ ١٩٥٥. القسم الثانى، القاهرة ١٩٦٣، ص١٢٣.

(٢) فؤاد سيد: نفسه.

(٣) كشف الظنون، ج١؛ ص٥٢١.

السخاوى، والسحماوى قد اختلطا على حاجى خليفة ومن نقل عنه [١] فنسبوا كتاب الثغر الباسم إلى محمد السخاوى.

وبمحاولة الرجوع إلى كتب التراجم الخاصة بالقرن التاسع الهجرى عُثر على ترجمة للسحماوى في كتابى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، والضوء اللامع للسخاوى. فقال عنه ابن تغرى بردى في وفيات سنة ٨٦٨ هـ| ١٤٦٣م "القاضى شمس الدين محمد ابن الشيخ بدر الدين محمد بن السحماوي الشافعى، أحد أعيان موقعى الدست الشريف بالديار المصرية، في ليلة السبت خامس عشر ذى الحجة، ودفن صبيحة يوم السبت المذكور عن اثنين وثمانين سنة، وكانت لديه فضيلة وعنده حشمة وأدب وتواضع، باشر التوقيع أزيد من خمسين سنة، وخدم بالتوقيع عند جماعة من أعيان الأمراء، آخرهم الملك الظاهر خشقدم إلى أن تسلطن" [٢].

وعلى مثل ذلك ذكره السخاوى مع بعض التغييرات فقال " محمد بن محمد الشمس بن البدر السحماوي القاهرى الشافعى

(١) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٩، ص٢٠١_٢٠٢.

(٢) النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٣٥.

الموقع، مات ليلة السبت منتصف ذى الحجة سنة ثمان وستين عن اثنين وثمانين سنة، وكان شيخاً ساكناً جامداً كثير التواضع والأدب والحشمة مع فضيلة ما، باشر التوقيع أزيد من خمسين سنة، بل خدم أيضاً عند جماعة من أعيان أمراء مصر، أولهم يشبك الإينالى في سنة نيف وعشرين، وآخرهم الظاهر خشقدم إلى أن تسلطن وكان يتوقع تقديمه له فما قدر، عمل كتاباً في مواكب الترك وشبهها، وقد كثر اجتماعى معه، وفهمت اعتناءه بالحوادث، ولكن لم أر شيئاً من ذلك"[١].

وبالاطلاع على كتاب العرف الناسم أو مابقى منه بدار الكتب المصرية . إذ تبلغ عدد لوحاته ١٠٧ لوحة [٢١٤ صفحة] . وجد أن الكتاب يحوى ستة أقسام لا ثمانية كما ذُكر في تعريفه عند حاجى خليفة، وفهرس مخطوطات دار الكتب. والأجزاء المتبقية منه جزء كبير من القسم الخامس والقسم السادس كله. وجد أن هناك تطابقاً في الأسلوب والمعلومات الواردة في كلا الكتابين بما لا يدع مجالاً للشك في أن كتاب " المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا" هو نفسه كتاب " الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم ".

(١) الضوء، ج١٠ص٣٧.

وتوجد عدة أدلة على هذا الرأى وهى كالآتى:

١ . دليل موضوعى. يرجع إلى فترة تأليف كلا الكتابين، فكتاب المقصد الرفيع يرجع تاريخ تأليفه إلى عام ٨٤٠ هـ نتيجة الإشارات التي أوردها كاتب المخطوط . إذا ما نحينا جانباً قائمة كتاب السر التي يتضح لكل قارئ له أن السطور الأخيرة قد أضيفت للمخطوط ولم تكتب مع بقية الكتاب .، وأن كتاب العرف الناسم قد فرغ مؤلفه منه عام ٨٤٦ هـ، وهو بدوره ملخص عن الأصل الثغر الباسم. فقرب التاريخين ٨٤٠، ٨٤٦ ه لا يتيح لكاتبين مختلفين أن يأخذ أحدهما عن الآخر . إذا ما افترضنا أن صاحب المقصد شخص آخر . وعلى ذلك فإن المنطق يقول إن كتاب المقصد هو كتاب الثغر الباسم.

٢ . دليل منهجى. فكتاب العرف الناسم يسير على نفس التقسيم المنهجى المتبع في كتاب المقصد الرفيع، فمما بين أيدينا من كتاب العرف، نجده يشتمل على بقية القسم الخامس الذي يقابل القسم الحادى عشر من المقصد، والقسم السادس يقابل القسمين الثانى عشر والثالث عشر على الترتيب، وذلك بالنسبة للتقسيم الكلى. أما عن التقسيم الجزئى لعناصر هذين القسمين

فنجد تطابقاً بين عناصر تلك الأقسام وبعضها. فعلى سبيل المثال:

أ ــ الباب الخامس في العرف " في رسم كتابة المطلقات والبرالغ والملطفات وكتب الجواز وأوراق الطريق والبطايق "[١].

يساوى في المقصد الفصلين الرابع والخامس، "الرابع، في رسم كتابة المطلقات لأرباب الوظائف بهذه المملكة. الخامس، في رسم كتابة الملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطايق".

ب ــ الباب السادس في العرف " في رسم المكاتبة إلى ملوك الإسلام وحكام الأقاليم والبلاد شرقاً وغرباً فيمن جرت العادة بالمكاتبة إليهم "[٢].

يساوى في المقصد النوع الأول من الباب الثامن " في رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك الإسلام وحكام البلاد والأقاليم ومن يجرى مجراهم ممن جرت العادة بالمكاتبة إليه".

وهكذا نجد أن أقسام وأبواب وفصول العرف تتتابع في تقسيمها مع المقصد الرفيع، وأن تجميع بعض العناصر أو الفصول في عنصر

---

(١) ورقة ٥ ب.

(٢) ورقة ١٤ ب.

واحد كان بقصد تلخيص الثغر الباسم، ولعل ذلك يظهر في قول حاجى خليفة: وهذا الأول والأقسام المذكورة للعرف دون الثغر [١]. بالإضافة إلى ذلك نجد السحماوي في العرف يذكر بعض المعلومات عرضاً ولا يسهب في شرحها اعتماداً على وجودها في كتابه الثغر الباسم، فنجده يقول عن: ما يكتب من ديوان الجيش من أمر الإقطاع لا يتعدى أربعة أمور، إما مثال، وإما نزول، وإما قصة، وإما مربعة من الممالك الشامية، وقد أوضحت متعلقاتها في كتابى الثغر الباسم [٢]. وهذه الأمور التي لم يفصلها السحماوي في العرف نجدها مفصلة في كتاب المقصد على نفس الترتيب والمكان بين عناصر الكتاب من ورقة ٢٩٠ ب إلى ٢٩١ ب [٣].

ونجده في موضع آخر يقول في العرف عن الشروط التي يجب أن يراعيها الكاتب عند كتابة الهدنة بين ملك مسلم وآخر غير مسلم فيقول: ولها شروط يجب على الكاتب معرفتها، وقد أوردتها في كتابى

---

(١) السابق، ج٢ص٥٢١.
(٢) ورقة ٦٣ أ.
(٣) انظر فيما بعد.

الثغر الباسم [١]. وهذه الشروط مفصلة في الفصل الأول من الباب الخامس بالقسم الثالث عشر بالمقصد ورقة ٣١٨ ب إلى ٣٢١ب[٢].

٣. دليل نصى، وهو يشتمل على وجود دلائل نصية بين العرف الناسم وبين الثغر الباسم، من حيث ضرب بعض الأمثلة التوضيحية بين العرف والثغر، وإن تغير تنسيقها الترتيبى بعض الشيء، وهو أمر مفهوم إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الأول ملخص للثانى، وهى على سبيل المثال:

أ ــ العرف: أما شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم ومكاتبته "هذه"، ثم كتب في أيام الأشرف برسباى للقاضى ولى الدين بن قاسم بالعناية " أدام الله " مع "الجناب"[٣].

المقصد: شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم، وكان رسم المكاتبة إليه "هذه المكاتبة ". فلما استقر القاضى ولى الدين بن قاسم في سنة ثمان وثلاثين كتب له " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " [٤].

---

(١) ورقة ٩٠ ب.

(٢) انظر فيما بعد.

(٣) ورقة ٥ أ.

(٤) انظر فيما بعد.

ب ـ العرف: إذا كان أحد من الأمراء المقدمين بالحضرة متولى نيابة صغيرة مع تقدمته، وضمه مطلق شريف يكتب بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة [١].

المقصد: إذا تولى أحد مقدمى الألوف بالأبواب الشريفة نيابة مستجدة بالبلاد الشامية، وكانت التقدمة مستمرة بيده كما كانا نائبى الرها وملطية، فيضاف في المطلقات الكبار بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة [٢].

ج ـ العرف: وقد وقع التحويل في زماننا في القرن التاسع في عام اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث، وفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلاثين، ويقع من سنة سبع وستين وثمانمائة إلى سنة ثمان وستين [٣].

المقصد: ووقع التحويل في زماننا في سنة [كذا] التاسع في سنة اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث وثمانمائة، وفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلاثين، ويقع في سنة سبع وستين إلى ثمان وستين [٤].

---

(١) ورقة ٨ أ، ب.

(٢) انظر فيما بعد.

(٣) ورقة ٧٠ ب.

(٤) انظر فيما بعد، ورقة ٢٩٦ ب.

بل إن هناك بعض ما ذُكر في العرف من أخطاء أو معلومات مغايرة لما ذكر في الدساتير السابقة كانت هي نفسها المذكورة في المقصد. ومثال ذلك ـ وهي على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ العرف: قال في التعريف: إنها من نهر بلخ إلى مطلع الشمس على [سمط] الوسط[١].

المقصد: قال في التعريف: وهي من نهر بلخ إلى مطلع الشمس على [سمط] الوسط[٢]. وصحتها [سمت] كما في التعريف وصبح الأعشى [٣].

ب ـ ما ذُكر في المقصد عن صاحب كرمينان، عاد وذكره صاحب العرف كما هو[٤] على الرغم من أن ما ذُكر كان خاصاً بصاحب برسا كما في التعريف وصبح الأعشى[٥].

---

(١) ورقة ٢٦ أ.

(٢) انظر فيما بعد، ص٢٦٥ أ.

(٣) التعريف، ص٦٥؛ صبح، ج٧: ص٢٩٣.

(٤) العرف، ورقة ٣٤ ب، الثغر ورقة ٢٧٠ ب، ٢٧١ أ.

(٥) التعريف، ص٦٤: صبح، ج٨ص١٥.

وبناء على تلك الأدلة يمكن أن نقول إن كتاب المقصد الرفيع هو نفسه كتاب الثغر الباسم، بل إن النسخة الوحيدة الموجودة منه هى النسخة التي كتبها صاحبها بخط يده وذلك للآتى:

١. أن الإضافة في قائمة كتاب السر كانت بنفس الخط لنفس الشخص.
٢. أن بعض التعليقات في هوامش بعض الصفحات كانت بنفس الخط أيضاً.
٣. أن كاتب الكتاب لم يكن قد قرر الانتهاء منه. وعلى ذلك فقد ترك عدة صفحات منه لكتابة المقدمة.

منهج السحماوي في كتاب الثغر

لسوء الحظ لم يقم السحماوي بكتابة مقدمة أو خاتمة لكتابه الثغر الباسم، وإن كان حاجى خليفة قد ذكر أن بداية الكتاب كانت " الحمد لله الذي أنشأ "، ولعل الأمر اختلط عليه فأورد مقدمة العرف على أنها مقدمة الثغر . وذلك على اعتبار أن النسخة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس هى النسخة الأصل والوحيدة إلى الآن وهى بغير مقدمة للمؤلف . ولسوء الحظ أيضاً فقدان الجزء الأكبر من العرف الناسم بما فيه مقدمة الكتاب فلم نستطع التعرف على منهج الكتابة والغرض الذي

من أجله قام السحماوي بتأليف كتاب الثغر الباسم ثم لخصه في العرف الناسم.

ولكن يمكن التعرف على الغرض الأساسى للكتاب من عنوانه، وإشارة وحيدة ذكرها داخل كتاب الثغر تُظهر هذا الغرض، التي من خلالها يمكن تحليل منهجه في الكتابة. فالسحماوى اختار العنوان لكى يتماشى مع هدفه الأساسى لتأليفه فكان " الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم "، أى أن الكتاب يشمل منهجاً عاماً هو صناعة الكتابة، وهدف خاص هو دور وأهمية وظيفة كاتب السر.

بالإضافة إلى ذلك نجده قد وضع كتابه كدستور جديد من دساتير ديوان الإنشاء، بل إنه وضعه كدستور مكمل لدستورى العمري وابن ناظر الجيش، وذلك من خلال العبارة الوحيدة التي تكلم فيها عن كتابه ونفسه فقال " وفضلاء الكتاب في كل زمن يتصرفون في ذلك بالزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، ومراعاة التحسين بحسب ما تؤدى إليه قرائحهم، وتسنح به ينابيع أفكارهم، إلى أيام المقر الشهابى ابن فضل الله، فحرر الألقاب، ورتب الوظائف، وصنف كتابه التعريف، وجعله عمدة ديوان الإنشاء من أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى أيام الأشرف شعبان بن حسين، فانتقلت بعض الألقاب الأصول إلى ما

فوقها من الرتبة. ثم إن القاضي محب الدين بن ناظر الجيش ثقف كتاب التعريف بأصول ومكاتبات استقر الحال عليها، وصارت عمدة في هذه الصناعة في زماننا. ثم غيرت منه بعض مراتب. وأبطلت منه بعض مكاتبات يسيرة، ثم أعان الله على ما أتيت به هنا مما هو المصطلح عليه في زماننا من كل قسم، وبه المستعان فيما بقى إنه ولى ذلك والقادر عليه وبالإجابة جدير "[١].

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن منهج السحماوي في كتابه كان تأصيلاً للفكرة العامة للكتاب وهى فكرة تهتم في المقام الأول بالوصف العملى لمهنة صناعة الكتابة، بما يعنى أنه اتخذ المنهج الوصفى في تأليف كتابه. وتمثل هذا المنهج في ثلاث عناصر هى:

١. التكوين العلمى لكاتب الإنشاء.
٢. المهام الوظيفية لكاتب السر.
٣. السمات المهنية فيما يخرج عن الديوان من أعمال.

ولتوضيح ذلك نستعرض أقسام كتاب الثغر فنجدها مقدمة وثلاثة عشر قسماً وهى:

---

(١) ورقة ٢٢٨ أ، ب.

المقدمة: في تعلق ديوان الإنشاء وكُتّابه. وقسمه إلى بابين: الأول، في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك. وفى بيان لقب صاحب هذا الديوان الجارى عليه قديماً وحديثاً، وفى بيان ترفع قدره وشرف محله وصفته وآدابه.

الثانى، في كُتّاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى آخر دولة الأمويين وابتداء الدولة العباسية واتخاذ الكتاب وزراء، واتخاذ كتام السر بالديار المصرية من أيام أحمد بن طولون وإلى زمن المؤلف.

القسم الأول: فيما يحتاج إليه كاتم السر من المواد العلمية والمعرفة بها. وقد قسمه إلى عشرة أنواع يجب على كاتب السر، وكاتب الإنشاء عامة أن يلم بها ويدرسها دراسة جيدة وهى، حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ومعرفة الأمور الفقهية، ومعرفة اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع، ومعرفة صنعة الكلام من سجع وإيجاز وإطناب ومساواة، ومعرفة أيام العرب المشهورة، والوقائع التي دارت بين العرب وبعضهم بعضا، وبين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والأحباش.

القسم الثانى: في معرفة التاريخ. وقد قسمه إلى سبعة أبواب في دراسة تاريخية كاملة كان الغرض الأساسى منها استعراض تاريخ موجز لدولتى الخلافة الأموية والعباسية، واستعراض تاريخ مصر منذ تاريخ الخلافة الفاطمية إلى زمن المؤلف عهد المماليك الجراكسة.

القسم الثالث: في معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً. وهو استعراض جغرافى بحت، يذكر من خلاله الجغرافيا العامة في شكل الأرض والبحار والمحيطات والرياح وأقاليم الأرض السبعة. ثم يفصل وصفه الجغرافى في ذكره للأقاليم الجغرافية الواقعة تحت سيطرة السلطنة المملوكية في مصر والشام والحجاز.

القسم الرابع: فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبيره وما يتصرف فيه بقلمه. وهو يتحدث فيه بالتفصيل وبطريقة مستقلة عن مهام كاتم السر، سواء فيما ينظر فيه ويتدبره وظيفياً من مهام، غير الإشراف على المكاتبات الخارجة عن الديوان، وهو يفصل بدقة مهام الديوان، ومهام كاتب السر، وما يتصرف فيه بقلمه من أعمال الديوان المعروفة والمحددة المهام، ككتابة الرسائل والتواقيع والمناشير وغيرها من الأعمال الديوانية. وفيه أيضاً يذكر الوظائف المعاونة لكاتب السر من نائب الديوان، وكتاب الدست والدرج، والدوادار، والمدراء.

القسم الخامس: في ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها، وموضوع الوظائف بها، وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف من قطع الورق حين ولايته. وهذا القسم يُعنى في الأساس بوصف كامل لنظم السلطنة المملوكية من شعار الملك الخاص بالسلطان، لذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف والأقلام وأرباب الوظائف الدينية في تسلسل إدارى منسق.

القسم السادس: في ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها، ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق. وفصل فيه على غرار القسم السابق ترتيب الوظائف لأرباب السيوف والأقلام ببلاد الشام في دمشق، وحلب، وحماة، والكرك، وصفد، وغزة.

القسم السابع: في ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف، وعربان الممالك الشامية، ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق. وهو خاص بوصف وظائف الأقطار الحجازية، مكة، والمدينة، وينبع، والعربان الداخلين في نطاقها، وعربان البلاد الشامية.

القسم الثامن: في أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور المهمة التي يحتاج إليها بديوان الإنشاء. وهو أول الأقسام الخاصة بصناعة الكتابة والمصطلح التي يُعنى فيها السحماوي بأهم أعمال ديوان الإنشاء من وصف للألقاب والأسماء والكُنى، وتفاوتها علواً وهبوطاً سواء كانت مفردة أو مركبة، ورتبة كل لقب، وعلى من تطلق هذه الألقاب واستحقاقاتها على أهل الدولة من أصحاب الوظائف سواء كانوا من أرباب السيوف أو الأقلام، مع تذكير الكتاب بما يجب أن يراعوه من ضوابط خاصة بكتابة هذه الألقاب والنعوت.

القسم التاسع: في معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والليق والنشا الملونة، والفواتح والخواتم واللواحق. وهو قسم يُعنى بالإطار النظرى التعليمى في ما يستعمل بديوان الإنشاء من أدوات وأوراق. ويضم أيضاً الأصول الحرفية في صناعة الكتابة، وفيما يجب أن تكون عليه الرسائل والمكتبات، من حيث التنظيم الشكلى من كيفية الافتتاح والختام، وما تستدعيه بعض الأحيان من إضافة بعض اللواحق للرسائل والمكاتبات، وفى أى موضع توجد داخل الرسالة، أو الكتاب الخارج عن ديوان الإنشاء، بالإضافة إلى ترتيب الكتاب، وتفحص الكاتب لما كتبه لعله يجد بعض الأخطاء التي يجب أن تقوم.

القسم العاشر: في ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولاياتهم. وهو يشتمل على أنواع البيعات منذ صدر الإسلام إلى عهده، سواء بيعات الخلفاء والملوك، وعهود الخلفاء للخلفاء، وما يكتب في تلك الكتب.

القسم الحادى عشر: في رسم المكاتبات الصادرة. وهو أهم أقسام الكتاب، يبدؤه السحماوي بذكر أمور تتعلق بالمكاتبات التي يجب على الكاتب معرفتها، ثم يعرض في تسلسل تاريخى لمصطلح مفتتح الكتب من أيام النبى صلى الله عليه وسلم وإلى زمنه، والأساليب المختلفة في افتتاح المكاتبات سواء عن الخلفاء للملوك أو عن الملوك لولاة العهد. ثم يعرض رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية لأرباب الوظائف بالدولة، وهو يشرح أنواعها سواء كانت مطلقات أو ملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطائق على أجنحة الحمام. ثم يأتى إلى أهم أنواع المكاتبات وهى المكاتبات الخارجية للملوك والسلاطين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، مع تقسيم رتب المكاتبات والألقاب لكل ملك على حسب أهمية علاقاته مع سلطنة المماليك.

القسم الثانى عشر: في الإقطاعات والمسامحات والإطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين. وهو قسم يحتوى على أنواع المكاتبات الآخرى التي تخرج عن ديوان الإنشاء على الرغم من اختصاص دواوين أخرى بإقرارها إلا أنها لا تخرج إلا عن ديوان الإنشاء ولا تُعتمد إلا بكونها من مكاتباته.

القسم الثالث عشر: في الأيمان والأمانات والدفن وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك النصارى والصلح بين ملكين مسلمين والفسوخ الواردة على العقود السابقة. وهو هنا يتابع ما قام به في القسم الثانى عشر من وصف لباقى أنواع المكاتبات التي يعتنى بها ديوان الإنشاء وتخرج عنه.

بعد استعراض أقسام كتاب الثغر الباسم، يمكن أن نرصد المنهج الخاص بالسحماوى، الذي تجلى في غرضه الذي ألف كتابه من أجله، وهو ما ظهر في رؤيته الخاصة لتنظيم موضوعاته، بحيث يمكننا أن نقول إنه كانت له رؤية مستقلة عن ما سبقه من الكُتّاب، على الرغم من أن المتصفح لكتابه يظن للوهلة الأولى أنه ناقل فقط لكتاب

القلقشندي، أو على الأقل قام بتلخيص كتابه[١]. وهذا الرأى فيه بعض الصحة بالنسبة لمادة الكتاب التي كان فيها القلقشندي أيضاً ناقلاً مجمعاً للمعلومات أكثر منه مبدعاً في خلقها، ولكن ذلك الأمر يظل مفهوماً خاصة إذا ما نظرنا إليه على أنه أمر عادى في الحياة الثقافية والفكرية في هذا العصر. ولكن على مستوى رؤيته لتصنيف هذه المادة وتنظيمها داخل كتابه فالأمر مختلف إذا تتبعنا طريقة تنظيمه الخاصة، مع الوضع في الاعتبار العناصر الثلاثة السالفة الذكر.

١ . التكوين العلمى لكاتب الإنشاء.

فالسحماوى نظم مادة كتابه بحيث أفرد الأقسام من الأول للثالث في وصف للديوان والشروط الواجب توافرها للعاملين بصناعة الكتابة، بحيث إنه بعد المقدمة التقليدية لأصل كلمة الديوان ونشأته في الإسلام خصص القسم الأول للتكوين العلمى لكل كاتب أيا كان انتماؤه للعمل داخل دواوين الدولة، من حسن الإعداد اللغوى والأدبى اللازم لعمل الكاتب عامة. ثم فصل بين بقية الكُتّاب ووظيفة كاتب الإنشاء، حينما أفرد القسمين الثانى والثالث لتاريخ مصر، وجغرافية العالم وما يقع تحت سيطرة الدولة المملوكية على الترتيب. وهو هنا

(١) ذكر هذا الرأى كثير من الباحثين المحدثين. انظر: حسن الباشا: الألقاب، ص ٥٨؛ عفاف صبره: ديوان الإنشاء، ص ٩؛ Gaudefroy-Demombynes, op.cit,p.V-VI.

وفقا لرؤيته الخاصة لما يجب أن تكون عليه ثقافة الكاتب نظم موضوعات كتابه وفقاً لهذه الرؤية.

٢. المهام الوظيفية لكاتب السر.

ويظهر ذلك الاهتمام بوظيفة كاتب السر، ومهامه الخاصة بوظيفة الكتابة بجانب مهام أخرى، تتعلق بوضعه السياسى الوظيفى في تخصيصه لقسم كامل هو القسم الرابع فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبيره وما يتصرف فيه قلمه. وعلى ذلك فإنه حين أفرد له قسماً خاصاً يعالج هذا الأمر بعيداً عن الأمور الخاصة التي تتداخل فيها المفاهيم بين الكاتب عموماً وكاتب السر على وجه الخصوص، قد سار على منهجه الخاص في الفصل بين الكتابة والكاتب، وقد تحكم في رؤيته هذه عمله بالديوان لمدة طويلة تربو على الخمسين عاماً، والتى جعلت نظرته للديوان والقائم على رأسه تستدعى منه تخصيص قسم خاص للحديث عنه.

٣. السمات المهنية فيما يخرج عن الديوان من أعمال.

وتظهر هذه السمات في قيام السحماوي بتخصيص إطار نظرى لأهم ما يتعلق بأمور الديوان، وهو وصف دقيق لوظائف الدولة في مصر والشام والحجاز، بحيث يمثل قاعدة معلومات لكاتب الإنشاء الراغب في معرفة التسلسل الوظيفى، ومن يكتب لهم من ديوان الإنشاء

في بقية أنحاء السلطنة المملوكية، ولذلك خصص الأقسام من الخامس للسابع لهذا الغرض.

ثم استكمل السحماوي منهجه في عرض للأصول الفنية الواجب على كاتب الإنشاء معرفتها، من حيث ما تشترك فيه أنواع الكتابة من ألقاب إلى المكتوب إليهم، والكُنى المطلقة عليهم حسب درجاتهم، بحيث لا تختلط الأمور على كاتب الإنشاء، وتكون الأمور واضحة فيما تشترك فيه أنواع المكاتبات، سواء رسائل أو مكاتبات رسمية. ولذلك فقد خصص القسم الثامن لذلك، ثم استتبعه بآخر الأقسام التعليمية أو المهنية وهو القسم التاسع الخاص بتنظيم شكل المكاتبات، ومقادير الورق، وهي كلها أمور فنية تُظهر إصراره على تقرير المنهج التعليمى في وحدة متتابعة لا يفصل بينها قسم يخل بمنهجه الذي قرره لنفسه.

ولأجل ذلك نجده خصص الأقسام من العاشر إلى الثالث عشر لأنواع هذه المكاتبات، بعد أن يكون قد وضح جميع الأمور الفنية الخاصة بشكل المكاتبة، ولعل ذلك يظهر في أنه قد وضع الوصف الجغرافى للبلدان الخارجة عن السلطنة المملوكية، مع وصفه للمكاتبات الخاصة بملوكها، حفاظاً على وحدة الموضوع، وعدم تشتيت القارئ بين أن يسهب في الوصف الجغرافى في مكان غير مناسب، وهو بذلك قد خالف القلقشندي، الذي خصص للوصف الجغرافى مقالته الثانية، ثم

بعد ذلك ذكر المكاتبات الخاصة بملوك هذه المناطق ضمن أنواع المكاتبات في المقالة الخامسة.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن منهجه القائم على وصف لمهنة الكتابة والعاملين فيها، قد أثر تأثيراً كبيراً على رؤيته لتنظيم موضوعاته، بحيث سار على درب واحد، بدأه بتمهيد عام لما يجب أن يكون عليه العامل في صنعة الكتابة، وانتهى بوصف لما يخرج من الديوان من أعمال تشمل كل أنواع المكاتبات، وعلى ذلك نستطيع أن نقول أيضاً إن السحماوي تطابق منهجه مع عنوان كتابه بصورة كبيرة.

مصادر الكتاب

يلاحظ القارئ لكتاب الثغر الباسم، اعتماد السحماوي بصورة كبيرة ومبالغ فيها على كتابي القلقشندي، صبح الأعشى، ضوء الصبح المسفر، بما يعطى انطباعاً بأنه كان ينقل عن القلقشندي نقلاً تاماً بدون إضافة. ولكن على الرغم من ذلك يمكن رؤية العديد من أشكال المصادر الخاصة بالسحماوى اعتمد عليها في كتابه، وهى مصادر متنوعة سواء كانت ذاتية أو شفهية أو مصادر مكتوبة.

فأما المصادر الذاتية لديه فهي واضحة كباقي مؤلفي الدساتير لكونه كان عاملاً بديوان الإنشاء لمدة خمسين عاماً، وعلى ذلك سوف نجد المصادر الذاتية لدى السحماوي تظهر في قوله " رأيت في بعض الدساتير "، وهو ما كان يقصد به المكاتبات الخارجة من ديوان الإنشاء[١].

بالإضافة إلى ذلك فإنه يمكن رصد المصدر الذاتي فيما كتبه السحماوي عن كاتم السر وما يتصرف فيه بنظره وتدبيره وما يصرف فيه قلمه، فهذا القسم بكامله يمثل الخبرة الذاتية المكتسبة من عمله بالديوان، ورؤيته عن قرب لمهام كاتب السر، وأعمال الديوان عامة ووصفها بدقة تنبئ عن كاتب قريب مما يصف.

ولعل ذلك الأمر يتضح في الاختلافات الواقعة بين ما سطره القلقشندي عن كاتب السر، وما خالفه فيه السحماوي من تقديم بعض الأنظار، وإهمال بعضها، ووصف مركز لما يُكتب فيما يخرج عن الديوان [٢]، ويدل ذلك على تيقظ السحماوي الذي اتخذ له منهجاً

---

(١) انظر فيما سبق، ص٧٠.

(٢) انظر القسم الرابع من المخطوط.

قائماً على رصد المتغيرات في أعمال الديوان وأشكال الكتابة، وهو ما يعنى أن خبرته الذاتية مثلت مصدراً من مصادر كتابه.

والشكل الثانى الذي تتضح فيه الخبرة الذاتية يظهر فيما قام بتتبعه من علو بعض الوظائف، وهبوط بعضها، بل في استحداث بعض هذه الوظائف في عصره مثل وظائف ناظر جدة، ونائب دمياط، أو ما يكتب لشيخ خدام الحجرة النبوية الشريفة [١]. أو ما قام بتوثيقه من رسائل متبادلة بين السلطنة المملوكية وغيرها من الممالك في الفترة التي قام خلالها بتأليف الكتاب، وهى الفترة التالية لوفاة القلقشندي ٨٢١ هـ حتى عام ٨٤٠ هـ وهى على سبيل المثال، رسالة لملك الهند عام ٨٣٨ هـ [٢]، ورسالة صاحب الدشت [٣]، وغيرهما مما ذكر في الكتاب.

وأما عن المصدر الشفهى، فإن هذا الشكل من المصادر لم يُمَثَّل لدى السحماوي إلا مرة واحدة فقط، حين تحدث عن ملك البرنو

(١) انظر الجدول رقم (١)
(٢) انظر، ورقة ٢٧٠ أ.
(٣) انظر، ورقة ٢٦٦ ب.

فقال: وأخبرني مقبول الرواية أن في زماننا تغلب صاحب الكانم على مملكة البرنو وأخذها [١].

أما عن مصادر السحماوي المكتوبة من الكتب والمؤلفات السابقة فيمكن القول إنها لم تخرج عن مصادر القلقشندي وزيد عليها كتاب صبح الأعشى للقلقشندى الذي ذكره في غير موضع من كتابه [٢]، ومصدر آخر لم يستخدمه القلقشندي وهو كتاب " الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين " لابن دقماق، وقد اعتمد عليه بصورة كاملة وأساسية في كتابة القسم الثاني من كتابه بجانب كتاب " نهاية الأرب " للنويرى الذي اتخذه مرجعاً في كتابته الجزء الخاص بعصر النبوة، ومما يتضح من قراءة ذلك القسم أن السحماوي عندما يذكر أى كتاب عرضاً في ذلك القسم يكون موجوداً أيضاً عند ابن دقماق، وبالتالى يمكن القول أن السحماوي سار على دروب السابقين في الاعتماد على نفس المصادر.

(١) انظر، ٢٧٥ أ.

(٢) انظر، ورقة ٢٦٦ أ، ٢٨٤ ب. ٣٢٤ أ.

الفصل الثالث

السخاوي وكُتّاب الدساتير

دراسة مقارنة

الملامح المشتركة بين السحماوي وكُتّاب الدساتير

لقد كان هناك العديد من الملامح والمميزات المشتركة بين السحماوي وأقرانه من كتاب الدساتير السابقين عليه، بحيث إن مقارنته بهم لن تكتمل أركانها بدون تحديد هذه الملامح التي ظهرت بوضوح داخل مؤلفاتهم، بحيث يلحظها القارئ كما لو كانت قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً، وهذه الملامح المشتركة هي:ـ

١- الوظيفة.

أولى هذه الملامح التي اشترك فيها السحماوي مع معاصريه، هي وظيفته بديوان الإنشاء، فالملاحظ على كل كتاب الدساتير أنهم جميعاً من العاملين بديوان الإنشاء، سواء كانت رتبهم الوظيفية داخل الديوان عالية القدر أو عادية. فإن الجميع اشتركوا في أن وظيفتهم قد ألقت بظلالها عليهم، وكانت أحد الأسباب التي دفعتهم لتأليف كتبهم.

ولعل الوظيفة التي شغلها السحماوي، وهي التوقيع داخل الديوان، والتي ظل يشغلها لمدة خمسين عاماً، قد ظهرت بوضوح في إقدامه على تأليف كتابه، والاستفادة من الوظيفة في ذلك. وهو ما سوف يُلاحظ على جميع الكتاب الذين قاموا بتصنيف مؤلفات في الديوان عامة أياً كان نوعها مثل الشهاب الحلبي، والصلاح الصفدي، وابن حجة [١]. أو على كتاب الدساتير خاصة مثل العمري، وابن ناظر الجيش، والقلقشندي. وقد تجلى هذا في أن جميعهم قد نص في مقدمة مؤلَفه أن هذا الكتاب تم تأليفه بناء على طلب السلطان، كما ذكر العمري[٢]، أو رئيس ديوان الإنشاء كما ذكر القلقشندي [٣]، أو

---

(١) انظر فيما سبق.

(٢) عرف التعريف، ص٩٥ أ.

(٣) ضوء الصبح، ص٤.

بناء على وازع داخلي هو رغبته في استفادة العاملين بالديوان من خبرته، وبخاصة إذا كان من ضمن هؤلاء العاملين أقرباء للكاتب، كأولاده مثلاً، وهذا ما ذكره كل من الشهاب الحلبي [١]، وابن ناظر الجيش[٢].

بالإضافة إلى ذلك فإن أهم ما يلاحظ على أهمية الوظيفة بالنسبة لهم، هو كم الوثائق والمعلومات التاريخية، وخاصة في تاريخ نظم الدولة المملوكية الإدارى، الذي حوته هذه الكتب بين دفتيها.

٢- الاهتمامات المعرفية وثقافة العصر.

على الرغم من إيجاز كل من ابن تغرى بردى، والسخاوى في ترجمتهما للسحماوى التي لم نستشف منها أى معلومة عن حياته العلمية والثقافية، فإننا نستطيع أن نرسم له صورة عامة، فيما قام بكتابته، وفى نفس الوقت لا نستطيع أن نفصل بينه وبين ثقافة عصره وملامحها المسيطرة عليها.

فالعصر المملوكي الجركسى يتصف بصفة ظاهرة لا تخطئها أعين المحللين له، وهى كثرة المصنفات، ولكنها في نفس الوقت لا تمثل

(١) حسن التوسل، ص١

(٢) تثقيف التعريف، ص٣.

إضافة إلا في القليل منها، ولكن على جانب آخر فإن الصفة الغالبة على ثقافة أهل العصر، هى الثقافة الموسوعية التي تحمل داخل مكوناتها أن يكون الشخص العامل في حقل علمى ما على دراية واسعة بالعلوم الفقهية والأدبية على وجه العموم. ولما كان السحماوي من العاملين بديوان الإنشاء كموقع، فإنه سار على درب أهل العصر من الاستزادة من العلوم المعرفية لكى تعينه على عمله.

ولما كانت الاهتمامات المعرفية تختلف من شخص لآخر، فقد كانت الاهتمامات المختلفة تظهر بوضوح لدى كتاب الدساتير بناء على هذا الاختلاف، على الرغم من وحدة الهدف الذي من أجله قاموا بتصنيف كتبهم من أجله وهو صناعة الكتابة وترتيب المصطلح. ويمكن رؤية هذا الأمر بوضوح لدى السحماوي وأقرانه عند مطالعة كتبهم، فالسحماوى كما يذكر السخاوى كان له اهتمام بالحوادث [١]. فظهر ذلك في قيامه بتخصيص قسم كامل للتاريخ، بالإضافة إلى حرصه على التأريخ للوظائف من حيث نشأتها أو ما يطرأ عليها من تغييرات.

---

(١) السابق، ج١٠ص٣٧.

وبالمثل نجد هذا الأمر عند كُتّاب الدساتير الآخرين، فالعمرى أشهر كتاب الدساتير قاطبة قد ألقت اهتماماته المعرفية بظلالها على كتابه التعريف بصورة واضحة. فالعمرى حين قام بتصنيف دستوره الأول عرف التعريف، لم يظهر من خلاله أى إبداع للعمرى، بخلاف تمكنه من وظيفته ومعرفته باستحقاقات رتب المصطلح. ولكن حين قام بتصنيف التعريف، وكان قد وصل إلى درجة كبيرة من النضج العلمى . إذ قام بتصنيفه بعد عام ٧٤١ هـ، أى بعد قيامه بتصنيف كتاب مسالك الأبصار الذي يؤكد بوضوح تمكنه من الثقافة الجغرافية وهى من أهم المعارف اللازمة لكاتب الإنشاء . قام باستثمار ثقافته الجغرافية في أن يضيف إلى دستوره الأول ما يراه من وجهة نظره لازماً لاكتمال مصنفه، ولذلك قام بإفراد قسمين من أقسام كتابه السبعة لجغرافية ممالك السلطنة، ومراكز البريد بداخل المملكة. بالإضافة إلى ذلك فإنه أدخل ضمن كتابه العديد من المعلومات التاريخية، وخاصة ما كان شاهداً عليها حين وصفه لبعض المكاتبات، أو لوصفه لترتيب نظام من أنظمة الدولة المرتبطة بديوان الإنشاء.

وعلى تلك الصورة نجد القلقشندي قد توسع في استخدام ثقافته الموسوعية في القيام بتأليف كتابه صبح الأعشى، وظهر بوضوح

مدى تمكنه في جميع نواحى المعرفة، مما أخرج لنا كتابه الموضوع في الأصل كدستور من دساتير الإنشاء إلى أن يصبح موسوعة علمية أدبية كبيرة.

ولعل من المناسب هنا أن نناقش ما أثاره د/أحمد دراج من أن مؤلفات الدساتير في عصر الجراكسة، جاءت خلواً من أى إبداع في الناحية العملية يضاف إلى مؤلفيها، على عكس كتب العصر البحرى[1]. فإن هذا الحكم فيه بخس بحق كل من القلقشندي والسحماوى. ولعل ما دعاه إلى ذلك أن كلاً منهما كان منهجه يصب في تجميع المعلومات المستقر أساسها فعلاً منذ عهد العمري، ولكن إذا ما تم النظر إلى أن الهدف الأساسى . والذى لم يضعاه عن عمد . لقيامهما بتأليف كتابيهما هو التأريخ للديوان، ومن خلاله التأريخ لنظم الإدارة المملوكية، فإن كتابيهما كانا إضافة إلى ما سبقهما من كتب الدساتير. بما يعنى أنه نتيجة اتساع الدور السياسى للديوان، وتوارى دوره الأدبى في إمداد الساحة الثقافية بأئمة البلاغة، ونتيجة استقرار نظم الكتابة، بحيث انحصرت في استحقاقات، الألقاب في المراسلات الخارجية والمكاتبات الداخلية، مما أدى إلى خروج حركة التأليف في كتب الدساتير من دائرة

---

(١) صناعة الكتابة، ص١٧٠.

التأليف البلاغى الاصطلاحى إلى دائرة التأريخ الإدارى للديوان ونظم الحكم، أى أن كُتّاب الدساتير في ذلك العهد حل لديهم هدف جديد في كتاباتهم، هو الهدف التأريخى للنظم الإدارية، محل الهدف البلاغى الأدبى، ولقد فطن البعض لهذا الهدف بدون تحديد أسبابه، فذكروا أن كتب الدساتير كانت ذات نفع في إمداد المؤرخين المحدثين بمعلومات غنية عن نظم الإدارة في العصر المملوكى، حيث كان الهدف الظاهر منها هو قيامهم بتأليف هذه الكتب ككتب تعليم إدارى وديوانى[1]. ومن هنا نستطيع القول إن البيئة الثقافية قد أخرجت لنا أشكالاً من كتب الدساتير، يظنها البعض مجرد تكرار لما سبق، وهو ما يخالف الواقع الذي يقول إن تلك البيئة الثقافية القائمة على التحصيل وتصنيف الذيول لكتب سابقة [2]، لا يخدش في الواقع اعتبار تلك المؤلفات مصنفات مستقلة في فنها، فضلاً عما أضافته المؤلفات اللاحقة من معلومات ونظم وترتيبات، استحدثها الزمان أو أضافتها الخبرة لما كان في المؤلفات السابقة.

---

(١) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية، ص١٧٥.

(٢) قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٦،ص٢٢٤.

٣- الحس التاريخى.

من أهم الملامح المشتركة بين السحماوي وكُتّاب الدساتير الآخرين هو الحس التاريخى المرتفع لديهم جميعاً بحيث تظهر دلالاته في:ـ

١ـ رواية الحدث التاريخى.

٢ـ التوثيق التاريخى.

وإذا شئنا الحديث عن رواية الحدث التاريخى لدى السحماوي والآخرين نجدها تتفاوت بين كاتب وآخر، وإن حملت ثنايا كتبهم هذا الأمر بوضوح، سواء كانت هذه الرواية كشاهد عيان، أو ناقل بطريق الرواية الشفهية، أو مستخدم للكتب التاريخية، لتطعيم معلوماتهم في نظم المصطلح. فعلى حين نجد العنصر الأول وهو كاتب الدستور كراوى وشاهد أو ناقل لرواية تاريخية، نجده تكرر عند العمري وابن ناظر الجيش والسحماوى بدرجة واحدة، ولكنه عند القلقشندي يظهر أكثر، ولعل ذلك راجع إلى اتساع الكتاب، مما يعطى المجال للكاتب في استعراض ما له من معلومات تاريخية خاصة به.

فنجد العمري على سبيل المثال، لم يترك فرصة لإيراد رواية عن حدث تاريخى إلا اهتبلها، كتأكيد لما يقول، مثلما تحدث عن اتساع

مُلك سلطان الهند [١]، أو عن ملك سنوب وعلاقته بالترك من حوله[٢]، أو عن تنظيم البريد في الدولة الإسلامية [٣]، أو عند حديثه عن رسالة ملك فرنسا للناصر محمد [٤]، فكل هذه الروايات التاريخية ذكرها العمري إما كناقل أو شاهد عيان على تلك الحادثة.

وعلى هذا أيضاً كان ابن ناظر الجيش، فقد أورد على سبيل المثال تصحيحه لاسم ولقب صاحب حصن كيفا، من خلال معلومات نقلها عن الأمير منجك السيفى [٥]، وقد كان السحماوي كالسابقين . وإن كان قليلاً . في روايته عن ملك البرنو [٦].

ولكن العنصر الآخر في رواية الحدث التاريخى، وهو الاعتماد على الكتب التاريخية السابقة، فنجده يكاد يكون معدوما عند كل من العمري وابن ناظر الجيش، ولكننا نجده بوفرة عند كل من القلقشندي

---

(١) التعريف، ص٧٢_٧٣.

(٢) السابق، ص٨٤.

(٣) السابق، ص٢٣٩_٢٤٢.

(٤) السابق، ص٩٢_٩٣.

(٥) تثقيف التعريف، ص١٦_١٧.

(٦) انظر فيما بعد، ص٨٧٤.

والسحماوى. فقد كان اعتمادهما على الكتب التاريخية ظاهراً فيما قاما بإدراجه من كتب تاريخية. فنجد القلقشندي قد ركز في كل ما وصفه بالتتبع التاريخى المسهب، حتى تاريخ الخطوط، ولعل ما ذكره د/ سعيد عاشور عن أهمية صبح الأعشى كمصدر تاريخي، يكفى للدلالة على حسه التاريخى فيما كتب[1]. بل كان ظاهراً أيضاً عند السحماوي في تخصيصه لقسم كامل لتاريخ الخلافة الإسلامية الراشدة والأموية والعباسية، وتاريخ مصر منذ الخلافة الفاطمية إلى عصر المماليك الجراكسة.

أما عن التوثيق التاريخى فقد اتخذ أشكالاً عدة لدى كُتّاب الدساتير، ولعل ذلك يعطينا مثالاً واضحاً عن التأريخ الإدارى لديهم، وهذه الأشكال هى:

١ ــ ذكر تاريخ المكاتبة.

٢ ــ تطور رتب المصطلح.

٣ ــ التأريخ لنشأة بعض الوظائف وتطورها.

---

(١) سعيد عاشور: كتاب صبح الأعشى مصدر لتاريخ مصر في العصور الوسطى، مقال ضمن ندوة أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، القاهرة،١٩٧٣، ص ص ٢٣ ــ ٧٠؛ وهناك دراسة حديثة للدكتور محمد كمال الدين عز الدين على عن. القلقشندي مؤرخاً، بيروت ١٩٩٩.

فأما عن ذكر تاريخ المكاتبة، فإن الأمر أكثر عمقاً من مجرد ذكر تاريخ الوثيقة، وفى أى عام كتبت . على الرغم من أهمية ذلك. إلا أن ذكر تاريخ المكاتبة وما تلاها من تعليقات في بعض الأحيان، وعلى وجه الخصوص المتعلق منها بالمكاتبات الخارجية، قد أعطى صورة موثقة للعلاقات الدبلوماسية بين دولة المماليك وغيرها من البلدان. ويكفى في هذا الأمر أن نطالع المكاتبات لدى كل من ابن ناظر الجيش والقلقشندى والسحماوى، لنجد آخر تاريخ لهذه المكاتبة أو تلك، بل إنهم في بعض الأحيان كانوا يذكرون صورة المكاتبة، ويتبعونها بأنهم لم يروا رسالة كتبت له في زمنهم، بما يعنى التأريخ لمدى التواصل الدبلوماسى من خلال التأصيل النظرى لرتب المكاتبات.

وعن صاحب كتاب الثغر نجده لم يغفل هذا الأمر بإيراد تواريخ المراسلات حتى عهده، وفوق هذا الأمر، لم يغفل أن يورد أسماء الملوك والسلاطين والأمراء المعاصرين له، على سبيل التأريخ والتأكيد على معلومات كتابه.

وثانى هذه الأشكال في التوثيق التاريخى، هو حرصهم على ذكر تطور رتب المصطلح التي يُكتب بها، سواء للمراسلات الخارجية أو

المكاتبات الداخلية لأصحاب الوظائف بالدولة. ولاستطلاع ذلك الأمر، يكفى أن نطالع الجدول الخاص بوظائف السلطنة ورتب الألقاب، الموجود بآخر الكتاب .كمقارنة بين كُتّاب الدساتير .، لنجد أن هذا التفاوت بين رتب المكاتبات يؤرخ لها في السلطنة المملوكية بواسطة مؤلفى الدساتير. ومن جهة أخرى يؤكد أن الهدف الأساسي لكل من القلقشندي والسحماوى، التأريخ لنظم المكاتبات لوظائف الدولة حتى آخر وقت.

أما عن ثالث شكل من أشكال التوثيق التاريخى، هو التأريخ لنشأة بعض الوظائف وتطورها، ومرة أخرى بالإطلاع على جدول وظائف السلطنة سواء في مصر والشام، نجد أن كُتّاب الدساتير باستثناء العمري، قد حرصوا على رصد تقدم وتأخر ونشأة الوظائف، بما يؤكد حسهم في التأريخ الإدارى لكيان ونظام السلطنة المملوكية، ويكفى في هذا المقام، أن نطالع العديد من وظائف الدولة التي لم تنشأ إلا في عهد السحماوي مثل نائب دمياط، وناظر جدة، ونائب سواكن وغيرهما مما ذُكر في هذا الجدول.

وبالجملة فإن السحماوي على الرغم من اشتراكه في هذه الخاصة مع بقية كتاب الدساتير، إلا إنه من المؤكد أن حسه التاريخى قد غلب عليه، بحيث إن كتابه يعد بحق تأريخاً لنظم الإدارة داخل ديوان الإنشاء ووظائف الدولة بوجه عام.

٤ ـ تعدد المؤلفات للكاتب الواحد في دساتير ديوان الإنشاء.

عندما نطالع مؤلفات كُتّاب الدساتير، يسترعى الانتباه وجود أكثر من كتاب لكل كاتب في دساتير ديوان الإنشاء. وقد حمل بعضها شكل تلخيص لكتاب سابق، أو تفصيل لآخر، وقد اشترك في تلك الخاصية العمري، والقلقشندى، والسحماوى، فكل منهم كان له كتاب أو أكثر.

قام كل من القلقشندي والسحماوى بتلخيص كتابيهما صبح الأعشى، والثغر الباسم في ضوء الصبح المسفر، والعرف الناسم على الترتيب. ولكن الأمر اختلف عند العمري الذي قام بتجميع عدة كتب صغيرة له عُدَّت في عِداد الدساتير، وإن كان أكثرها تحديداً هو كتاب عرف التعريف. وقد أوضح كل من القلقشندي والعمرى هدفهما من

ذلك الأمر، ولكن بكل أسف لم نستطع معرفة السبب الذي دعا السحماوي إلى تلخيص كتابه، وإن كان يمكن تخمين ذلك بأنه كان سيراً على درب الأولين في قيامهم بتلخيص كتبهم تركيزاً للمعلومات، وتسهيلاً على القارئ، وذلك على اعتبار أن تلك الخاصة اتخذت شكلاً دائماً عند معظم مصنفي الأدب في ذلك العصر[١].

وقد قال القلقشندي عن هدفه من تلخيص كتاب صبح الأعشى: "وصرف أكابر الرؤساء وجه عنايتهم إليه - صبح الأعشى - فكان له بذلك شرف الكمال وكمال الشرف، واهتموا بتحصيله فنفقت سوقه نفاق الطرف، وعنوا باستكتابه فصرفوا فيه ما لولا القول بأنه لا سرف في الخير لقيل إنه سرف فضلاً من الله ونعمة، إلا إنه ضاقت أوقات أصحاب المناصب العلية على استيعابه بالنظر، وقصرت يد القاصر في المال عن استنساخه، وغالب أيدى الناس الآن ذات قصر"[٢]. وبتلك الكلمات عزا القلقشندي قيامه بتلخيص كتابه الضخم " صبح الأعشى " في كتاب ذى مجلد واحد، نتيجة أن عملية انتشاره بين أيدى الناس، سوف تكون في عِداد المستحيل نتيجة تكلفة استنساخه، بالإضافة إلى

---

(١) شاكر مصطفى: السابق. ج٣ص٣٩

(٢) ضوء الصبح. ص١_٢.

ذلك، فإن قيام المتخصصين وأهل الصفوة بمطالعة صبح الأعشى واستيعابه من الصعوبة بمكان تجعل الانتشار المرجو للكتاب ضئيلة.

وعلى العكس من ذلك قام العمري بالتوسع مع كتابه الأول عرف التعريف، فقام بالزيادة عليه، بل غير منهجه، من منهج تعليمى جاف إلى منهج تعليمى مطعم بما يعين أهل الصناعة على حذق مهنتهم، فقال عن ذلك: " وأتيت فيه بزيادات على ما في الأول أين تلك منها" [١].

تلك كانت أهم الأمور المشتركة بين مؤلفى الدساتير، سواء في حياتهم، أو في طريقة كتابتهم التي يلمحها أى قارئ لكتبهم، وإن اختلف تأثير هذه المميزات من شخص لآخر.

منهج الكتابة عند السحماوي وكُتّاب الدساتير

بعد استعراض الملامح العامة لمؤلفى الدساتير في تصنيفهم لكتبهم تتبقى لدراسة المقارنة بينهم دراسة أوجه الاتفاق والاختلاف في

---

(١) التعريف، ص١٤.

المنهج الذي اتبعه كل منهم، ولكن قبل الشروع في ذلك لابد من التأكيد على نقطتين هما:

أولاً: أن وحدة الموضوع الذي عالجه كل هؤلاء الكُتاب . المصطلح . قد يغرى البعض على القول إن المنهج المتبع لديهم كان واحداً.

ثانياً: أن دراسة منهج الكتابة عند هؤلاء المؤلفين، يجب أن نخضعها قبل كل شيء لمفهوم تحديد الغرض الأساسى لتأليفها، وهى أنها دساتير لمصطلح الكتابة، وهو ما يعنى بالضرورة قراءة هذه الكتب من هذه الزاوية بما فيها كتاب صبح الأعشى للقلقشندى، أى قراءته كدستور لا كموسوعة أدبية، لأنه في حالة قراءته كموسوعة، فإن إخضاع ما عداه لمعايير ما وصلت إليه موسوعته سيعد خطأ يصل بنا إلى مرحلة رفض ما عداه من كتب ومصنفات في هذا الشأن.

وتنحصر دراسة منهجية الكتابة عند السحماوي وغيره من كُتاب الدساتير في عنصرين، هما:

١. اختيار وترتيب الموضوعات.

٢. مصادر هذه المؤلفات.

١. اختيار وترتيب الموضوعات.

أما عن اختيار وترتيب الموضوعات فيمكن القول إن مناهج كُتّاب الدساتير دارت حول ثلاثة محاور هي:ــ

أ ــ دراسة رتب ودرجات المصطلح والألقاب وطرق الكتابة.

ب ــ التأصيل النظرى لهذه الألقاب.

ج ــ وصف أعمال الديوان والعاملين به.

وقد تفاوتت درجة اتخاذ هؤلاء الكُتّاب لهذه المحاور كمنطلق لمنهجهم في الكتابة. فقد اتفق الجميع على وضع المحور الأول . دراسة رتب ودرجات الألقاب وطرق الكتابة .كهدف مشترك اتخذوه جميعاً كهدف رئيسى، وإن تراوح اعتباره كمحور وحيد بين كاتب وآخر.

فنجد أعلى درجات هذا الاهتمام لدى العمري في مؤلفاته سواء عرف التعريف، أو التعريف بالمصطلح الشريف. إلا أننا في نفس الوقت سنجد تفاوتاً بين الاعتماد على ذلك المحور كمنهج وحيد بين الاثنين. فعلى حين كانت مهام الديوان تأخذ وضعها النهائى في الاهتمام برتب المصطلح والألقاب الذي ظل قائماً حتى نهاية عِصر المماليك، وهو الاهتمام الموروث من الفاطميين والأيوبيين وذلك استمراراً لمقولة " إن الملوك يسمحون ببدرات المال ولا يسمحون باللقب الواحد " [1]. فإن

(١) القلقشندي: ضوء، ص٤٤؛ السحماوي: الثغر، ورقة ١٠٤ ب.

هذا الأمر هو ما دفع العمري في مؤلفه الأول . عرف التعريف . لكى تتحكم فيه الألقاب وترتيبها واستحقاقاتها في ترتيب موضوعاته لهذا الدستور، فنجده قد قسمه إلى خمسة أقسام، كل قسم يُعنى بدرجات الألقاب المتفاوتة لرتبة من رتب أهل الدولة، فالقسم الأول للملك ولكبار الأمراء، والثانى للوزراء، والثالث للقضاة والعلماء، والرابع للصلحاء، والخامس يشتمل على ألقاب عامة. وبسبب ذلك العرض لرتب الألقاب، خرج دستوره الأول على هيئة منشور رسمى لأرباب الديوان، يشرح من خلاله درجات المصطلح.

إلا أن ذلك المنهج قد تغير تغيراً كبيراً في " التعريف بالمصطلح الشريف "، بحيث لم يجعل اللقب منفصلاً عن رسم المكاتبة وترتيبها، بحيث كان منهجاً يشمل الشكل والمضمون. واستمر تركيزه على كون رتب المكاتبة هو أساس منهجه، إلا أنه أضاف إليه ما يعد إرهاصة لوضع أساس آخر من أساسيات مناهج كُتّاب الدساتير، وهو إدراج أعمال الديوان، وما يخرج منه من مكاتبات، والأساس المهنى للعاملين في الديوان، من قدرة أدبية وحذق عملى في دائرة الأهداف المرجوة من تصنيف كتب الدساتير. وتجلى ذلك في ترتيبه لموضوعات الكتاب، بحيث افتتح أقسام كتابه السبعة برسم المكاتبات الخارجية للحكام

المسلمين وغير المسلمين، ثم استتبع ذلك برسم المكاتبات لأهل الدولة على درجاتهم واستحقاقاتهم من الألقاب، مما يعد سيراً على منهجه في عرف التعريف. ثم استتبع ذلك القسم بقسم يشرح فيه مخرجات ديوان الإنشاء من أنواع المكاتبات من تواقيع ومراسيم وإطلاقات وبطائق وغيرها. وقسم آخر في إنشاء الوصايا والأيمان الخاصة بأرباب الدولة، والمسلمين وأهل الملل الأخرى. وقسم جغرافى في وصف أقاليم الدولة والطرق الموصلة إليها، وقسم في مراكز البريد والمناور وهجن الثلج وغيرها من أعمال تتعلق بالديوان. وبذلك نرى العمري قد افتتح في كتابه التعريف .كدستور . منهجا قائما على الألقاب كمحور رئيسى مع وصف لما يجب أن يعرفه العامل في الديوان كهدف تعليمى تالٍ له.

وعلى نفس المنهج الذي ابتدعه العمري في "التعريف" في معالجة موضوعاته سار ابن ناظر الجيش في "التثقيف" إلا أنه كان أكثر صرامة في جعل منهجه قائماً على وصفه لرتب المصطلح، وما يخرج من الديوان من مكاتبات هو المحور الأساسى الذي قام عليه دستوره، بحيث قام بتطويع الوصف الجغرافى في وصفه لرتب المكاتبة بحيث أدمجهما معاً، وضرب صفحاً عن استعراض المهارة الأدبية اللازمة

لكاتب الإنشاء. وعلى ذلك خرج ترتيب كتابه وفقاً لمنهجه القائم على الاهتمام برتب المصطلح ليس إلا.

وبناء على ذلك نجد ابن ناظر الجيش قد رتب موضوعاته وفقاً لهذه الرؤية، فبدأ كتابه بمكاتبات الخلفاء والملوك والحكام شرقاً وغرباً بما فيهم غير المسلمين من الحكام. وقسمه الثاني في مكاتبات ولاة العهود وأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد، وأنواع تلك المكاتبات من مطلقات وملطفات وأوراق طريق. ثم جعل قسمه الثالث في مكاتبات العربان والتركمان والأكراد بالممالك الإسلامية المحروسة. وجعل القسم الرابع في مكاتبات أرباب الوظائف الديوانية، والدينية وغيرهم من مشايخ الصوفية والتجار. وهنا يتضح لنا أن ابن ناظر الجيش قد طوع الوصف الجغرافي - الذي أفرد له العمري قسماً - عن أقاليم الدولة في وصف ترتيب الوظائف لأهل الدولة من أرباب السيوف والأقلام، كل حسب درجة وظيفته وما يستحقه من ألقاب ونعوت، وبذلك لم يجد ضرورة في أن يحذو حذو العمري في وصف جغرافي لأقاليم الدولة، طالما أن ذلك الوصف يدخل ضمناً في ذكر استحقاقات الوظائف في جميع أرجاء السلطنة.

وتكملة لمنهجه القائم على الربط بين أعمال الديوان ورتب المصطلح، خصص القسم الخامس في رسم العهود والتقاليد والمناشير، والسادس في نسخ الأيمان والهدن والدفن والمواصفات والمفاسخات، ثم جعل السابع في ذكر ألقاب ممن لم تجر لهم عادة بمكاتبة من أرباب السيوف، وأرباب الوظائف الدينية والديوانية. وهذه الأقسام كما يتضح خاصة باستعراض لما يخرج من الديوان من مكاتبات قام خلالها ابن ناظر الجيش بوصف دقيق لطريقة كتابة هذه المكاتبات ولمن تكتب، وما يكتب فيها من الألقاب، وأنواع أخرى لأعمال الديوان من نسخ الأيمان والهدن وغيرها مما تجرى كتابته بديوان الإنشاء، ويظهر حرصه الشديد على أن يكون هدفه الأول هو رتب الألقاب، إن قام بتخصيص قسمه الأخير لألقاب ممن لم تجر العادة بالمكاتبة لهم ولكن يمكن أن تخرج عن الديوان بعض المكاتبات الخاصة بهم فيجب علي كاتب الإنشاء أن يكون ملماً بها.

وبذلك يظهر من خلال منهج ابن ناظر الجيش أن درجة الألقاب وترتيب المصطلح هو المحور الأساسي الذي قام عليه كتابه، وأن استخدامه لمعالجة هذا الأمر في الوصف المسهب لترتيب الوظائف بالدولة كان إيذاناً بالتأريخ للألقاب، أى ما يعنى بالتأصيل لدرجات

المصطلح تاريخياً. وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن العمري وابن ناظر الجيش قام منهجهما على محورين من المحاور الثلاثة الموضحة سابقاً، وهما رتب المصطلح، ووصف لأعمال الديوان ومخرجاته من المكاتبات.

ولكن على جانب آخر فإن القلقشندي والسحماوى قد طورا ذلك المنهج، بحيث توسعا فيه كل حسب رؤيته في ترتيب موضوعاته، وإن اتفقا على المحاور الثلاثة. فالقلقشندى أراد من كتابه ألا يشتمل على دستور للمصطلح فقط، ولكن على دستور يضم كلاً من المصطلح، ونظام العمل داخل الديوان، مع التأريخ لصناعة الكتابة في العصر الإسلامي حتى عهده [١]. ومن الملاحظ أن القلقشندي الذي توسع في كتابه حتى صار موسوعة، تداخلت عدة مناهج في كتابه، كالمنهج الأدبى، المنهج الجغرافى، والمنهج التاريخى، مما أدى إلى صعوبة تحديد منهج وحيد للقلقشندى، وإن كان من السهل القول بأن كتابه كان دستوراً لديوان الإنشاء.

---

(١) صبح، ج١ص٧.

فالقلقشندى كالسابقين له وضع رتب المصطلح كهدف أساسى، وإن كان داخلاً ضمن صناعة الكتابة، والديوان الممثل لهذه الصناعة " ديوان الإنشاء "، وعلى ذلك فإن ترتيبه لموضوعات دستوره لم يخرج عن المنهج المنطقى لمن أراد أن يحوى كتابه كل الفنون المتعلقة بهذه الصناعة والعاملين فيها. وبالطبع لمن كان ذلك هدفه أن يختلف منهجه عن السابقين له في ترتيب موضوعاته، والأولويات التي يجب أن يبدأ بها. وعلى ذلك فقد سار القلقشندي بتدرج في ترتيب موضوعاته، فجعل المقدمة في التعريف بديوان الإنشاء. والمقالة الأولى في صفات كاتب السر والعاملين بصناعة الكتابة على وجه العموم، والعلوم المساعدة التي يجب أن يحيطوا بها إحاطة الخبير، ثم أفرد لعلم من هذه العلوم مقالة خاصة به، وهو علم الجغرافيا، الذي أدمج فيه ما هو خاص بالمملكة المصرية. كل ذلك يعد تمهيداً لهدفه الأصلى لكتابه وهو دراسة كل ما يتعلق بديوان الإنشاء من نظم وكتابة. ثم المقالة الثالثة في ترتيب المكاتبات، وما هو خاص بها من أقلام وخطوط وفواتح وخواتم، وهو في ذلك متبعاً نفس المنهج القائم على عرض كل ما يتعلق بالديوان من أنظمة فنية ومهنية.

ثـم قـام القلقشـندي بعـرض مـا يتعلـق برتـب المصـطلح فعـرض للألقاب، ورسم المكاتبات، في المقالتين الرابعة والخامسة، ولكن كان توسعه فيهما يخدم هدفاً أساسياً يتضح من منهجه الذي أوضحه في مقدمته، ألا وهو أن يشتمل كتابه على كل ما يتعلق بديوان الإنشاء، ولما كانت الألقاب هى الركيزة الأساسية لمؤلفه، فقد استعرضها بإسهاب، متخذاً المنهج التاريخى الزمنى في تأصيل كل ما يتعلق بهذه النقطة، سواء في الألقاب وتسلسلها الزمنى منذ نشأة أى لقب، ثم عرض لنماذج المكاتبات أيضاً متتبعاً المنهج التاريخى لعرض هذه المكاتبات، بما يعنى المزج بين المحاور الثلاثة لمناهج كتاب الدساتير: رتب المصطلح، والتأصيل النظرى لهذه الرتب، وعرض لأعمال الديوان والعاملين به. ويظهر ذلك أيضاً من خلال إفراده للمقالات من السادسة إلى التاسعة في مخرجات ديوان الإنشاء من مناشير الإقطاع، وتحويل السنين، والطرخانيات، والأيمان والهدن والدفن.

أما السحماوي في كتابه الثغر فقد سار على منهج متوازن في أن يكون كتابه خاصاً بصناعة الكتابة، ورتب المصطلح، وإدارة الديوان والعاملين فيه. ويمكن القول إن منهجه اشتمل على المحاور الثلاثة الأساسية التي قام عليها منهج كُتّاب الدساتير، ولم يخرج عن نطاقها

كما حدث لبعضهم، مثل العمري والقلقشندى بأن ضم كتابيهما مداخلات أدبية كانت تعبيراً عن براعتهم الأدبية، التي أغفلها كل من ابن ناظر الجيش والسحماوى، لكونهما يعبران عن الكاتب الإدارى في أصدق صورة، بحيث لم يخرجا عن منهجهما القائم على الوصف العملى لأعمال الديوان، وإن تفوق السحماوي في أنه طبق المحاور الثلاثة القائم عليها منهج كُتَّاب الدساتير في ترتيب موضوعاتهم.

فالسحماوى حينما رتب موضوعات كتابه، وضع نصب عينيه أن يكون الترتيب في وحدة موضوعية متتابعة، لا يفصلها أو تتداخل بينها موضوعات تؤثر على منهجه الذي وضعه لنفسه. فطبقاً لهذا المنهج، بدأ كتابه بمقدمة وثلاثة أقسام، تتناول التعريف بماهية ديوان الإنشاء وأهمية صنعة الكتابة، ثم استتبعها بثلاثة أقسام، الغرض منها التأكيد على العلوم التي يجب أن يكون عليها كاتب الإنشاء، وهو بذلك تتبع خطى القلقشندي، إلا أنه أفرد للتاريخ . طبقاً لرؤيته الخاصة لبعض العلوم الهامة بالنسبة له . قسماً خاصاً، وهو هنا على عكس القلقشندي الذي أفرد المقالة الثانية للوصف الجغرافى بدون أن يتعرض للتأريخ العام للدولة الإسلامية في مقالة خاصة كما فعل السحماوي. ثم خصص القسم الثالث للوصف الجغرافى، فجعل بدايته ذكراً سريعاً لجغرافية

العالم الذي يعيش فيه، ثم خصص بقية القسم لجغرافية سلطنة المماليك سواء في مصر أو الشام أو الحجاز. وهو هنا اختلف أيضاً عن القلقشندي الذي أسهب في الوصف الجغرافى للعالم المحيط به، وخاصة للدول التي كانت لها علاقات مع السلطنة المملوكية، وجعل ذلك التعريف يأتي في تناسق موضوعى حينما يذكر هذه العلاقات في القسم الحادى عشر. وهو هنا يؤكد على أن اهتمامه ينصب على الإعداد العلمى لكاتب الإنشاء في المقام الأول.

ثم يسير السحماوي في تتابع ينبئ عن وضوح منهجه، حينما يخصص القسم الرابع لوصف المهام الموكولة لرئيس الديوان والعاملين به، في وصف أقل ما يقال عنه إنه وصف خبير بدقائق الأمور داخل الديوان، لا وصف كاتب يلم بأهم الأمور فقط. وهو بذلك القسم قد أهل القارئ في تلقى بقية كتابه الذي يعالج كتابة الإنشاء وما يتعلق بها من أمور خاصة بكاتب الإنشاء فقط، مثل الترتيب الوظيفى للدولة من السلطان إلى أصغر موظف داخل دواوين السلطنة، ولذلك فقد خصص الأقسام الخامس والسادس والسابع لوصف دقيق لوظائف السلطنة في كل من مصر والشام والحجاز. وعند هذا الحد وضح أن السحماوي

قد وضع طبقاً لمنهجه وصف أعمال الديوان والتأريخ لوظائف السلطنة كأول محور من المحاور الثلاثة السالف الذكر.

ثم انتقل إلى المحور الثانى وهو رتب المصطلح حينما خصص الأقسام الثامن والتاسع والعاشر لهذا الغرض، بحيث عرض فيها الأمور التي تشترك فيها الولايات والمكاتبات على أنواعها المختلفة في كتابة المصطلح، والتنظيم الشكلى لهذه المكاتبات.

ثم بعد ذلك طبقاً لمنهجه قام بعرض مخرجات الكتابة الديوانية بأنواعها من مراسلات، ومناشير، وتواقيع، بحيث مزج كالقلقشندى بين التوصيف المهنى والتأريخ الإدارى لدولة المماليك في هذه الأقسام من الحادى عشر إلى الثالث عشر.

وبعد ذلك الوصف لمناهج كُتّاب الدساتير، ومدى تأثيره على معالجتهم لمواضيع كتبهم، نستطيع القول إن تصنيفهم لهذه الكتب يعد مفيداً، على الرغم من رؤية البعض أنه كان تكراراً لما ذكره السابقون، لأن هذا الرأى إذا ما تم اعتماده فإنه في الواقع ينسحب على كتب العصر كلها، إلا ما كان يحوى بين دفتيه جديداً لم يذكره السابقون

ونقله اللاحقون، ولكن إذا ما تم التمعن في هذه الكتب. والتنقيب فيها على ما حواه كل كتاب من جديد، ولو تضاءلت كميته، فيمكن القول إن هذا هو الدافع لقيامهم بالتصنيف في فنون كُتب فيها الكثير، ولكن ما جد فيها وما أخرجت قرائحهم من إعادة الترتيب لمعالجة هذه الموضوعات، كان كافياً من وجهة نظرهم للاستمرار في التأليف في هذا الصنف من الكتب وغيره من العلوم.

مصادر كتب الدساتير

ليس الهدف من مناقشة مصادر كُتّاب الدساتير تعبيراً عن منهجهم في الكتابة إعادة الحديث عن مصادر كل مؤلف، ولكن نوعية هذه المصادر وما تعطيه من دلالة عن منهج الكاتب الذي استخدمه هى الهدف المرجو من هذا العنصر. وقد تراوحت هذه المصادر بين نوعيتين، هما:

١ ـ الخبرة الذاتية للمؤلف.

٢ ـ المصادر المكتوبة من المؤلفات السابقة.

فالخبرة الذاتية كانت واضحة عند الجميع، وإن تراوحت أشكالها بين أن تكون الخبرة في صورة معلومة يكون المؤلف صاحبها ومبدعها، وبين أن تكون الخبرة في رصد المتغيرات.

فأما عن الشكل الأول، القائم على أن الخبرة تكون واقعاً يحدده المؤلف، على اعتبار أنه واضع أسسه، فلا نجد غير العمري قد قام بهذا الأمر، لكونه واضع دستور المكاتبات لا كمؤلف لكتاب في هذا الفن فقط، ولكن كواضع للأسس التطبيقية . على اعتبار أنه كان من مشاهير الكُتّاب بالديوان . التي تم العمل بها داخل الديوان وسار عليها العاملون فيه حتى نهاية العصر المملوكي.

فالعمرى اتخذ لنفسه منهجاً محدداً في استقاء معلوماته، قائماً على الخبرة الذاتية المتوفرة له من العمل داخل الديوان، وعلى الرغم من أنه لم يكن مبتدعاً لذلك المنهج في اقتصار مادته العلمية على خبرته الذاتية، إذ سبقه فيها ابن شيث في معالم الكتابة [1]، وابن الصيرفى في قانون ديوان الرسائل، إلا أن تخصيص كتاب سواء "عرف التعريف" أو "التعريف" لرتب الألقاب ومصطلح الكتابة، دون الاهتمام بالنواحى البلاغية، كان هو الرائد فيه، حيث لم يسبقه أحد في الاقتصار على هذا الفرع من صناعة الكتابة، التي أصبحت الهدف الرئيسى من عمل ديوان الإنشاء في عصره.

---

(١) حسن الباشا: السابق، ص٣٩.

وأما الشكل الثانى من أشكال الخبرة الذاتية، وهو رصد المتغيرات، فقدكان على صورتين: الأولى: متابعة المتغيرات على رتب المكاتبات فقط، تبعاً للمنهج الذي اتخذه كاتبه وصاحبه، وهو هنا ابن ناظر الجيش. فابن ناظر الجيش كان غرضه الأساسي تقديم صورة لما طرأ على رتب المصطلح من تغيرات في الفترة التي تلت تأليف العمري لكتابه. بل إنه أضاف من واقع خبرته الشخصية العديد مما أغفله العمري في بعض رتب المصطلح وشكل الكتابة، بل إنه عارضه في بعض الأحيان مستدلاً على ما أصبح عليه الأمر في زمانه. والأمثلة الدالة على ذلك:

حينما ذكر المكاتبة إلى إمبراطور بيزنطة قال " قلت هذه مكاتبته التي رأيتها متداولة بين الموالى الجماعة، وبها كتبت إليه، غير أن القاضي المرحوم شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى ذكر في كتابه المسمى بالتعريف مكاتبة المذكور بتغيرات كثيرة بالزيادة والنقص ولا حاجة لإثباتها هنا لأن هذا الذي ذكرته هو الذي استقر عليه الحال آخراً " (١).

(١) تثقيف التعريف، ص٢٨.

وعن مكاتبة ملك الحبشة " لكن القاضى المرحوم شهاب الدين بن فضل الله المشار إليه ذكر في كتابه المذكور مكاتبته بألقاب مختلفة على غير هذا النمط، ولكن هذا الذي ذكرناه هو آخر ما استقرت عليه مكاتبته " (١).

وقال عن بعض المكاتبات التي جدت بعد العمري " وأما من استجدت مكاتبته من الكفار من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وإلى آخر وقت " (٢).

والصورة الثانية: هى رصد المتغيرات في استحقاقات هذه الرتب ويتبعها أيضاً التأريخ للإدارة المملوكية، ووصف للعمل داخل الديوان، من واقع الخبرة الذاتية المكتسبة من العمل به. وهذا الشكل من الاستعانة بالخبرة الذاتية كمصدر، كان واضحاً لدى كل من القلقشندي والسحماوى، وذلك راجع إلى ما ذُكر سابقاً من أن التجديد في رتب المصطلح كان قد توقف تقريباً منذ عهد ابن ناظر الجيش، ولعل ذلك

---

(١) السابق، ص ٣١.

(٢) السابق، ص ٣٤.

يظهر من قول السحماوي " ثم غُيرت منه بعض مراتب وأبطلت منه بعض مكاتبات يسيرة، ثم أعان الله على ما أتيت به هنا مما هو المصطلح عليه في زماننا " (١).

وبذلك ظهرت الخبرة الذاتية لدى السحماوي والقلقشندى تبعاً لمنهجهما القائم على التأريخ للديوان وأعماله، فقاما بوصف للديوان وأعماله من خلال ما خبراه أثناء عملهما به. ولقد تجلى هذا الأمر واضحاً عند القلقشندي متمثلاً في إيراده العديد من الوثائق ونماذج المكاتبات داخل كتابه، أما عند السحماوي فقد خصص القسم الرابع من كتابه لغرض استعراض ترتيب وظائف الديوان، وطريقة العمل به، بالإضافة إلى تتبعه لوظائف الدولة علوا وهبوطاً وذلك من خلال واقع عمله بالديوان.

أما عن المصادر المكتوبة، فقد كانت دالة على منهج هؤلاء الكُتّاب، . على قدر تفاوت الاستعانة بها لديهم . فعندما نجد العمري لم يستعن في كتابه التعريف بأى مؤلف سابق، اللهم إلا بكتابين، أحدهما

---

(١) الثغر، ورقة ٢٢٨ ب.

لا علاقة له بديوان الإنشاء، وهو " تمائم الحمائم " لابن عبد الظاهر، والآخر في الترسل هو " حسن التوسل " للشهاب الحلبى في موضعين اثنين، نستطيع الحكم على منهجه بأنه قائم على تسجيل شخصى لخبرته المهنية. على حين نجد ابن ناظر الجيش قام بتأليف كتابه على نفس المنهج، إلا أن اعتماده على كتاب العمري بجانب كتابى ناصر الدين النشائى، وناصر الدين خضر، كمصادر مكتوبة في كتابه، يدل على أن منهجه القائم على وصف رتب المصطلح، احتاج بجانب خبرته الذاتية، خبرة من سبقه، وبخاصة إذا كانت دساتير لأناس ذوى حيثية في هذا المجال، وذلك اختلاف شكلى في المنهج، أملاه أن ابن ناظر الجيش أراد أن يكون كتابه حاوياً كل المتغيرات الحادثة في كتابة المصطلح، تناسقاً مع عنوان كتابه " تثقيف التعريف".

ولكن حينما ننظر إلى توسع كل من القلقشندي والسحماوى في الاعتماد على المصادر المختلفة، نستطيع أن نقول إنه كان نتيجة منهجهما القائم على التأريخ لصناعة الكتابة، وديوان الإنشاء، مما استدعى منهما تنوعاً في نوعية المصادر، وعدم الاكتفاء بخبرتهم الشخصية، التي لم تكن تضيف شيئاً كثيراً، بجانب الاعتماد على

الدساتير السابقة للتأريخ والتأصيل النظرى لمصطلح الكتابة، وهو لن يتأتى إلا بالاعتماد على كتب ومؤلفات السابقين.

تلك كانت أهم النقاط الخاصة بمقارنة مناهج كتاب الدساتير التي اتضح منها أن لكل كاتب منهم منهجه الخاص الذي وضح في تنظيمه لمادة كتابه ومصادره التي اعتمد عليها.

تقويم السحماوي وكتابه الثغر الباسم

لا نستطيع الفصل في حالة السحماوي . نتيجة قلة المعلومات عنه . بينه كشخص وبين كتابه، فكتاب الثغر هو النافذة الوحيدة التي من خلالها نطل على السحماوي ككاتب. فمن خلال تأليف السحماوي لكتابه، نستطيع القول إنه يمثل مرحلة ثقافية قامت على النقل والأخذ عن السابقين، ونستطيع أن نرصد ذلك من خلال ظاهرتين عنده:

١. اعتماده بصورة كبيرة ومبالغ فيها في النقل عن القلقشندي بطريقة حرفية.

٢. أنه حين قام بوضع قسم جديد عن ما قام به القلقشندي، وهو القسم الثانى الخاص بالتاريخ، اعتمد على كتابين آخرين هما نهاية الأرب للنويرى، والجوهر الثمين لابن دقماق.

وذلك يجرنا إلى ظاهرة أخرى عند السحماوي، ألا وهى الاستسلام الكامل للغة من ينقل عنه، فعلى الرغم من أنه كان من العاملين بديوان الإنشاء المفروض فيهم الحرص على اللغة العربية، فإنه نقل عن ابن دقماق بدون التدخل في لغته المعروفة بالضعف والعامية، وهى صفة ظهرت عند ابن دقماق أكثر من غيره.

أن السحماوي كان يمثل الرجل الإدارى البيروقراطى في أدق صورة له، كما اتضح سابقاً فإن منهجه قام على الوصف والتأريخ للديوان، وهو هنا قد كرس جهده لهذه العملية. ويتضح ذلك من إفراده ثلاثة أقسام من أقسام كتابه، لما نستطيع أن نقول عنه إنه وصف للتسلسل الوظيفى والإدارى بالسلطنة المملوكية في مصر والشام والحجاز. ثم يتضح أكثر فأكثر في وصفه لمهام كاتم السر في عصره وصفاً دقيقاً نابعاً من الخبرة الشخصية له بالعمل بالديوان، على خلاف القلقشندي الذي أخذ منه التأصيل النظرى حيزاً أكبر من التأصيل الفعلى لوظيفة كاتم السر[١]. بجانب أنه قام بالتأريخ للألقاب كما يتضح

---

(١) انظر الدراسة المقارنة التي أعدها أحمد دراج عن مهام كاتب السر عند القلقشندي والخالدى " السحماوي " في كتابه صناعة الكتابة، ص ١١٠ - ١٥٨.

من قراءة الجدول الخاص لترتيب الوظائف والألقاب في السلطنة المملوكية.

ذلك على الجانب المنهجى الخاص بالسحماوى، أما عن جانب التقويم الخاص بالكتاب أو على وجه الدقة الجديد في كتاب السحماوي بالنسبة لغيره من الكتب فنستطيع أن نرصد الجديد في الكتاب على النحو الآتى:

١- أن السحماوي حينما أرخ للألقاب والوظائف في عصر المماليك، كان حريصاً على إبراز ما استجد على هذه الوظائف، وما تغير في رتب الألقاب، لعلمه بضآلة قيمة كتابه إذا لم يزوده بهذه المتغيرات، ولذلك نستطيع أن نقول إن الثغر الباسم هو المصدر الأخير من كتب الدساتير، الذي رسم لنا بصورة كبيرة ترتيب وظائف السلطنة المملوكية حتى منتصف القرن التاسع الهجرى، وينطبق ذلك الأمر أيضاً على رتب الألقاب المستحقة لتلك الوظائف فيه.

٢- أن الثغر الباسم حوى من ضمن ما حوى من جديد، شكل العلاقات الدبلوماسية بين السلطنة المملوكية وغيرها من البلاد والممالك في منتصف القرن التاسع،

حينما قام برصد آخر الرسائل المتبادلة بين مصر وغيرها
من البلاد [١].

أن هناك العديد من التصويبات، سواء كانت حوادث تاريخية، مثل تحويل السنين الذي كان السحماوي فيه أدق من القلقشندي من حيث تحديد سنيها على وجه الدقة [٢]، أو كانت تصويبات لنماذج بعض المراسلات والمكاتبات المنقولة عن العمري وابن ناظر الجيش، والتى كان بها بعض التغيرات عما أورده القلقشندي نقلاً عنهما [٣]، كأن السحماوي قام بتصحيح التصحيح.

---

(١) انظر القسم الحادى عشر.

(٢) انظر القسم الثانى عشر.

(٣) انظر القسم الثالث عشر.

قائمة
المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة

- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) ت ٦٣٧ هـ : الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٣٥ .
- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) ت ٨٧٤ هـ : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج٥ ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٧٢ .
- ابن حجة (أبو بكر بن على بن عبد الله التقى الحموى) ت ٨٣٧ هـ : قهوة الإنشاء ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٣٨ .
- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى) ت ٨٧٢ هـ : كشف الممالك ، مخطوط لدى الدكتور محمد عيسى صالحية ، جامعة اليرموك الأردن .
- ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ١٧٢٤ ، ٢٢٥٨.
- ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى) ت ٧٤٩ هـ : عرف التعريف ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٩٢٦ .
- ابن ناظر الجيش (تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد) ت ٧٨٦ هـ : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، [المعروف بإجابة

السائل إلى معرفة الرسائل لمجهول] مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٣٧ .

. السحماوى (محمد بن حسن بن على بن حسام بن أيوب بن محمود) ت ٨٦٨ هـ : العرف الناسم من الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٥٩ .

. الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ : قانون الترسل ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤١١ أدب تيمور ، ميكروفيلم ٢٧٩٦٩ .

. مجهول : جواهر السلوك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ١٦١٦ .

. مجهول : مجموعة من المراسلات ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٤٠ .

ثانياً : المصادر المطبوعة

. ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ت ٦٥٨ هـ : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٨٥ .

. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد) ت ٦٣٠ هـ : اللباب فى تهذيب الأنساب ، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

. ابن الأثير (عز الدين) : الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٢ .

ـ ابن الأثير (ضياء الدين) : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، بولاق ، ١٢٨٢ هـ .

ـ ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى) ت ٩٣٠ هـ : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٢ .

ـ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق وليم بوبر ، كاليفورنيا ١٩٠٩ـ ١٩٣٦ ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٠ . ١٩٧٢ .

. ابن تغرى بردى : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، نشر وليم بوبر ، كاليفورنيا ١٩٣٢.

. ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق محمد محمد أمين ونبيل عبد العزيز ، القاهرة ١٩٨٤ . ١٩٩٠ .

. ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد) ت ٥٩٧ هـ : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم [من ٢٥٧ هـ] ، بيروت ١٣٥٨ هـ .

- ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم [حتى ٢٥٧ هـ] ، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ١٩٩٢ .
- ابن الجيعان (شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شاكر بن عبد الغنى) ت ٨٨٥ هـ : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشر مورتينز ١٨٩٨ .
- ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩ هـ : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة١٩٧٦ .
- ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على) ت٨٥٢ هـ : رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدى أبو سنة ، محمد إسماعيل الصاوى ، القاهرة ١٩٥٧.
- ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب ، بيروت ١٣٧٩ هـ .
- ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٩٤ . ١٩٩٨.
- ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ١٩٩٢ .

- ابن خلدون (ولى الدين عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٣ هـ : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٧٩ .

. ابن خلدون (يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن) ت أواخر القرن الثامن الهجرى : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، الجزائر١٩٠٣ .

. ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت . ١٩٧٢ . ١٩٦٩ .

. ابن دقماق (الأمير إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩ هـ : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، نشر فولرز ، القاهرة١٨٩٤ .

- ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

. ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمى) ت ٣٢٠ هـ : الطبقات الكبرى ، بيروت ، ب . ت.

. ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى) ت ٦٧٣ هـ : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ .

- ابن شاكر الكتبى (محمد بن شاكر بن أحمد) ت ٧٦٤ هـ : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ب . ت .

- ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشر بول راويس ، باريس ١٨٩٤ .
- ابن شيث (عبد الرحيم بن على بن الحسين) ت ٦٢٥ هـ : معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، نشر الخورى قسطنطين الباشا المخلص ، بيروت ١٩١٣.
- ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان) ت ٥٤٢ هـ : القانون فى ديوان الرسائل ، والإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ابن الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت ٩٠٠ هـ : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٣ .
. ابن الطوير (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسرانى) ت ٦١٧ هـ : نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، أعاد بناءه وحققه أيمن فؤاد سيد ، شتوتجارت ١٩٩٢ .
. ابن ظافر (جمال الدين أبو الحسن على بن أبى منصور) ت ٦١٢ هـ : أخبار الدول المنقطعة _ القسم الخاص بالفاطميين _ مقدمة تحليلية وتعقيب أندريه فريه ، القاهرة ١٩٧٢ .
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد) : تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ١٩٩٢ .

- ابن عذارى (محمد بن عذارى) ت نهاية القرن السابع الهجرى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان ، ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٨٣ .
- ابن عرب شاه (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى) ت ٨٥٤ هـ ، تحقيق أحمد فايز الحمصى ، بيروت ١٩٨٦ .
- ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، الجزء الأول تحقيق أحمد زكى باشا ، القاهرة ١٩٢٤ .
- ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . القبائل العربية فى مصر والشام . . تحقيق دوروتيا كرافولسكى ، بيروت ١٩٨٥ .
- ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٥ .
- ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، بيروت ١٩٨٨ .
- ابن قانع (أبو الحسين عبد الباقى بن قانع) معجم الصحابة ، تحقيق صلاح بن سالم المصراتى ، المدينة المنورة ١٤١٨ هـ .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٠ هـ : الإمامة والسياسة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ.
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) ت ٧٧٤ هـ : البداية والنهاية ، بيروت ، ب . ت .

. ابن كثير : تفسير ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

. ابن المأمون (جمال الدين أبو على موسى) ت ٥٨٨ هـ : أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٣ .

. ابن مماتى (الأسعد بن مماتى) ت ٦٠٦ هـ : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٩١ .

. ابن منقذ (الأمير أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن على الكنانى الشيزرى) ت ٥٨٤ هـ : الاعتبار ، نشر فيليب حتى ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ .

. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم) ت ٧١١ هـ : لسان العرب ، بيروت ، ب . ت .

. ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب بن راغب) ت ٦٧٧ هـ : أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨١

. ابن ناظر الجيش : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلى ، القاهرة ١٩٨٥ .

. ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧ هـ : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ . ١٩٥٧ .

. أبو الفداء (إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملك المؤيد) ت٧٣٢ هـ : تقويم البلدان ، نشر رينو ، البارون دى سلان ، باريس ١٨٤٠ .
ـ أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم عزب ، ويحيى سيد حسن ، القاهرة ، ب . ت .
ـ أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن) ت ٦٥٥ هـ : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٥٦ . ١٩٦٢ .
ـ أبو هلال العسكرى (الحسن بن عبد الله) ت ٣٩٥ هـ : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٨٦ .
. أبو الوفاء (عبد القادر بن أبى الوفاء محمد بن أبى الوفاء القرشى) ت ٧٧٥ هـ : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، كراتشى ، ب . ت .
. البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) ت ٤٢٩ هـ : الفرق بين الفرق ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، القاهرة . ب . ت .
. البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ .
. البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى) : سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على ، القاهرة ب . ت .

- بنيامين التطيلي (بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي) ت ٥٦٩ هـ : رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، بغداد ١٩٤٥ .
- البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى) ت ٤٥٨ هـ : سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكة المكرمة ١٤١٤ هـ. ١٩٩٤ م .
- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) : الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٣٨ .
- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ١٩٤٣ .
- الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ .
- الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف) ت ٣٨٧ هـ : مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، بيروت ١٩٨٤ .
- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) ت ٧٤٨ هـ : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ١٤١٣ هـ .
- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الكريم عزباوي، الكويت ١٩٧٢ .

- الزهرى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) ت أواسط القرن السادس الهجرى : كتاب الجغرافية . تحقيق محمد حاج صادق ، القاهرة ، ب . ت .
- سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى) ت ٦٥٤ هـ : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدى ، مكة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر) ت ٩٠٢ هـ : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- السخاوى : الذيل على رفع الإصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٦ .
- السلامى (محمد بن رافع السلامى) ت ٧٤٤ هـ : الوفيات ، تحقيق صالح مهدى عباس ، وبشار عواد معروف ، بيروت ١٤٠٢ هـ .
- السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) ت ١٣١٩ هـ : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ١٩٩٧ .
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩١١ هـ : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .
- السيوطى : طبقات الحفاظ ، بيروت ١٤٠٣ هـ .

ـ الصولى (محمد بن يحيى) ت ٣٣٦هـ : أدب الكُتَّاب ، علق عليه محمد بهجة الآثرى ، القاهرة ١٣٤١ هـ .
. الصفدى : الوافى بالوفيات ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، شتوتجارت .
ـ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ب . ت .
. الطبرى : تفسير الطبرى ، بيروت ١٤٠٥ هـ .
ـ على بن خلف (الوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف بن محمد) ت ٤٦٦ هـ : مواد البيان ، تحقيق حسين عبد اللطيف ، ليبيا ١٩٨٢
ـ العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى) ت ١٠٨٩ هـ : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
. العينى (بدر الدين محمود) ٨٥٥ هـ : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ١٩٦٧ .
. العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٧ .
. الغزى (نجم الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، بيروت ١٩٧٩ .

. الفاكهى (محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى أبو عبد الله) ت ٧٣١ هـ : أخبار مكة ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .

. القرطبى (محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح) ت ٦٧١ هـ : تفسير القرطبى ، تحقيق أحمد عبد العليم البردونى ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .

ـ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١ هـ : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، نشر محمود سلامة ، القاهرة ١٩٠٦ .

. القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩١٤.١٩١٩ .

ـ القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب :العرب ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ١٩٥٩ .

. الكندى (محمد بن يوسف) ت ٣٥٠ هـ : ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، بيروت ، ب . ت.

. الماوردى (على بن محمد بن حبيب البصرى) ت ٤٥٠ هـ : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، راجعه محمد فهمى السرجانى ، القاهرة ١٩٧٨ .

ـ مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ١٩٥٨ .

. المراكشى (عبد الواحد بن على التميمى) ت ٦٤٧ هـ : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة ١٩٩٤ .

. المقرى (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .

. المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٨٥٧ .

. المقريزى : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ .

. المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٧٣ .

. المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الجزء الأول جمال الدين الشيال ، والثانى والثالث محمد حلمى أحمد ، القاهرة ١٩٩٦ .

. المقريزى : درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على ، بيروت ١٩٩٢ .

. المقريزى : مسودة كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، لندن ١٩٩٥.

. المقريزى : المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، بيروت ١٩٩١ .

. النسائي (أحمد بن شعيب) ت ٣٠٣ هـ : سنن النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، حلب ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م .
- النعيمي (عبد القادر بن محمد) ت ٩٧٨ هـ : الدارس في أخبار المدارس ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ١٤١٠ هـ .
. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣ : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١٦ ، ١٧ ، القاهرة ١٩٥٢ . ١٩٥٣ ، ج٣٢ تحقيق محمد فهيم شلتوت ، القاهرة ١٩٩٨ .
. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت) ت٦٢٦ هـ : معجم البلدان ، بيروت ، ب . ت.
. ياقوت الحموي : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، بغداد ، ب . ت .

ثالثاً : المراجع العربية

- إبراهيم حركات : السياسة والمجتمع فى العصر الأموى ، المغرب ، ١٩٩٠.

- إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨.

- إبراهيم على طرخان : قيام إمبراطورية مالى الإسلامية ، مقال بمجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، ١٩٧٠.

- أحمد دراج : صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية ، مكة ١٤٠١ هـ .

. أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب ، القاهرة . ب . ت .

- أحمد عبد الرازق :البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، القاهرة١٩٧٩ .

- أحمد محمد الحوفى : أدب السياسة فى العصر الأموى ، القاهرة ١٩٦٩ .

- أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، ب . ت.

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ١٣٤٥ هـ.

- البيومى إسماعيل الشربينى : النظم المالية فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٩٨ .
- توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة ونشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ، الموصل ١٩٧٦ .
- جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً ، القاهرة ٢٠٠٠ .
- جومار : وصف مدينة القاهرة ، ترجمة وتعليق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٨ .
- حربى أمين سليمان : غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ، القاهرة ١٩٨٠ .
- حسام الدين السامرائى : المؤسسات الإدارية فى الدولة العباسية ، بيروت ١٤٠٣ .
- حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .
- حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٧٨ .
- حسين بيوض : الرسائل السياسية فى العصر العباسى الأول ، دمشق ١٩٩٦ .
- حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى ، القاهرة ١٩٥٤ .

- حسين نصار : المراسلات فى العصر الأموى ، بحث فى مجلة عالم الفكر ، أكتوبر - ديسمبر ، الكويت ١٩٨٣ .
. حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك ، القاهرة ١٩٦٩ .
- درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الإسكندرية ١٩٧٤ .
. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، الإسكندرية ١٩٧٩ .
. شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ، الكويت ١٩٧٣ .
. شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، بيروت ١٩٩٠ .
. طاهر راغب حسين : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٥ .
. طه ناجى الطراونة : مملكة صفد فى عهد المماليك ، بيروت ، ١٩٨٢.
. عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى حياته وآثاره ، الجزائر ، ١٩٧٤ .
. عبد اللطيف حمزة : الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ب . ت .
. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، بيروت١٩٨١ .
. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، الإسكندرية ١٩٨٤ .
. عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .

- عبد المنعم ماجد : نظم دولة المماليك ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٧٨ .
- عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، ط الثانية ، القاهرة ب . ت.
- عفاف صبرة : ديوان الإنشاء وتطوره فى عصر الأيوبيين والمماليك رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ١٩٧٠ .
- فؤاد سيد : فهرست المخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٥٥ . ١٩٦٣ ، القاهرة ١٩٦٣.
- قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٩ .
- قاسم عبده قاسم : الرؤية الحضارية للتاريخ ، القاهرة ١٩٨٥ .
- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ترجمة محمود فهمى حجازى ، حسن محمود إسماعيل ، القاهرة ١٩٩٥ .
- كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، بيروت ١٩٨٧ .
- محمد أحمد أبو الفضل : شرق الأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٩٦ .
- محمد الحبيب الهيلة : النظم الإدارية بمصر فى القرن التاسع الهجرى ، ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ١٩٧١ .

. محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .

- محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠.

. محمد حمزة الحداد : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، دراسة حضارية أثرية ، رسالة ماجستير ، آثار القاهرة ١٩٨٧ .

. محمد عبد الله عنان : أبو العباس القلقشندى ، مقال ضمن ندوة " أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى " ، القاهرة ١٩٧٣ .

- محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى ، الكويت ١٩٨٥ .

. محمد عيسى الحريرى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامى ، الكويت ، ١٩٨٧ .

. محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، بيروت ب . ت

- محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ١٩٨٣ .

- محمد كمال الدين عز الدين على : أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات ، القاهرة ١٩٩٢.

- محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ، القاهرة ١٩٤٩ .

- محمود إسماعيل عبد الرازق : الخوارج فى بلاد المغرب ، القاهرة ١٩٨٦ .

. محمود محمد الحويرى : أسوان في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨٠ .

. نورمان ف كانتور : التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ١٩٨٤ .

- هسى .ج . م : العالم البيزنطى ، ترجمة رأفت عبد الحميد ، القاهرة ١٩٨٢ .

- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سليمان ، استنبول ١٩٨٨ .

رابعاً : المراجع الأجنبية

* Abd al-Hamid saleh;"une source de Qalqashandi Mawâd al-Bayân et son auteur Ali b- Halaf ",Arabica ,xx.1973,p.192-200.
* Ahmad Darrag , L'Egypte sous le règne de Barsbay,DAMAS,1961.
* Amari M, Al-Umari,Condizioni dei Crisiani dell Occidente secondo una relazion di Domenichino Dorio da Genova, in Atti della R: Accademia dei Lincei , serie III,t.XI 1883.
* Björkman W., Beiträge zur Geschichte der Staatskanzelerei im Islamischen Ägypten,HAMBURG,1928.
* Bosworth C.E.,Medieval Arabic Culture and Administration, London,1982.
* Donald P.Little., History and Historiography of the Mamlûks, London,1986.
* Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Paris,1966.
* Encyclopédie de L'Islam, Nouvelle Édition,Paris,1990.
* Gaudefroy- Demombynes M.,La Syrie à l' époque des Mamlouks, Paris 1923 .
* Hartman R.Politische Geographie des Mamlukenreiches.Zeitschrife des Deutschen Morgenländischen Gesellschaft , 70,1916.

* Lewis, B.,: Saladin and the Assassins, BSOAS xv,1954.
* Malcolm .,The History of Persia
* PAUL BALOG , The Coinage of The mamluk sultans of Egypt and syrie , NEW YORK 1964.
* Poliak A.N., Feudalism in Egypt,Syria,Palestine and Lebanon, London,1939.
* Quatremère M.,Notice de l' ouvrage qui pour titre Mesalek al- Absar fi Memalek al- Amsar,dans Notices et extraits des manuscrits de la Bibliotheques du Roi et autres Bibliothèque13, 1838.
* Sourdel D., Le vizirat Abbaside de 749 à 936 , Damas 1960 .
* Wiet G., Les Secrétaires de la Chancellerie en Egypte sous les Sultans Circassiens,Extrait des Mélanges René Basset,Paris,1923.
* Wüstenfeld , Calcaschandi's Geographie und Verwaltung von Agypten, aus dem Arabischen,1879.
* Sauvaget.J, La Poste aux Chevaux dans l' Empire des Mamelouks , PARIS 1941 .



طبع بمطابع دار شعاع

الفهرس

طبع بمطابع دار شعاع
المنصورة - ٠١٠٩٩٥٩٥٩٥٥



مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا